الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة ابن خلدون –تيارت–

كلية الآداب واللغات

قسم اللغة العربية

فرع دراسات أدبية

مذكرة تخرج لنيل شهادة الماستر في اللغة العربية وآدابها

تخصص: أدب حديث ومعاصر، الموسومة بـــ:

دلالة البكاء في الشعر العربي
دراسة موضوعاتية جمالية

إعداد الطالبين:

* غوثـي بطاهـــر
* محمد بن جلول

إشراف الأستاذ:

* د.محمد بولخراص

لجنة المناقشة:

1-د.معازيز بوبكر ..... رئيسا

2-د.بولخراص محمد ..... مشرفا

3-د.شريط رابح .....مناقشا

السنة الجامعية :

1439هـ-1440هـ/ 2018م-2019م

بسم الله الرحمن الرحيم

شكر وتقدير

نحمد الله تعالى ونشكره على إتمام هذا العمل، ونصلي ونسلم على المبعوث رحمة للعالمين سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وعلى آله وصحبه أجمعين.

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (من لم يشكر الناس لم يشكر الله)، واقتداء بهذا الهدي النبوي، نتوجه بخالص الشكر والتقدير والعرفان إلى أستاذنا الفاضل الأستاذ الدكتور: بولخراص محمد، ولا يفوتنا الذكر إلى من قدم لنا يد العون وأنار بحثنا ، بالإضافة إلى من أصبغوا علينا من توجيهاتهم، ونصائحهم القيمة، وشجعونا على البحث والاطلاع، خاصة زملاءنا داخل الكلية وخارجها، ولا ننسى صبر أستاذنا الفاضل علينا ، واحتماله للهفوات التي كنا نقع فيها، وإرشادنا إلى تلافيها،

فله منا جزيل الشكر والتقدير

كما نمتن للجنة المناقشة التي ستفيض علينا

بتوجيهاتها القيمة وملاحظاتها السديدة.

الإهداء

الحمد لله العزيز العظيم الذي هدانا إلى نوره وما كنا لنستنير بنوره لو ما هدانا وأنار طريقنا وبصيرتنا وصل اللهم وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد:

أهدي قطافنا هذا إلى الأبوين العزيزين وإلى كل من ساعدنا سواء من قريب أو من بعيد وخاصة عائلتي ، وإلى كل من علمونا حروفا من ذهب ووقفوا إلى جانبنا ومنحونا الثقة والعلم.

إهـــــــداء

إلى التي على بساط الأوجاع ولدتني، وبأيدي الأنام ربتني، ومن المشقات حمتني، إلى التي كتبت تاريخ ميلادي، ورسمت مستقبل وجودي، إلى شعار الطهر ورمز العفاف، إلى من يفيض قلبها رحمة وحنان ولا يمكن أن يوفّى أجرها أو يردّ جميلها مهما طالت الأعمار، إلى من حملتني وهناً على وهن، وأرضعتني كأس الفضيلة وزرعت في قلبي بذرة الأمل إلى أغلى الناس وأرق الإحساس "أمي الحبيبة".

إلى روح والدي رحمه الله وأسكنه فسيح جناته، الذي لم يبخل علي بشيء، إلى إخوتي وزوجتي وأولادي أهديكم ثمرة جهدي، وإلى كل الذين ساعدوني وساندوني ولو بكلمة طيبة، إلى كل الأساتذة الكرام والأصدقاء الأوفياء وأجمل تحية وتقدير وعرفان إلى أستاذي "بولخراص محمد".

إلى من وسعتهم ذاكرتي ولم تسعهم مذكرتي.

غوثي

مقدمة

مقدمـــة:

إن الشعر العربي كنز نفيس ومعين لا ينضب، وعمق ثري يستخرج منه الباحث ما يشاء لأنه يزخر بالمعاني والدلالات الكثيرة والمتنوعة منها دلالة الصحراء، الماء، الإبل، الطبيعة، الموت، الأمل... التي كانت دافعا تشحذ همة الأدباء والشعراء وتفجر طاقاتهم.

ولعل –في نظرنا– من الظواهر التي لم تحظ بدراسة كبيرة تيمة البكاء وهذا ما جعلنا نرى فيه موضوعاً ثرياً وخصبا للبحث ومرد ذلك إنما لكون البكاء ظاهرة مؤلمة فيتجنبها الكتاب والقراء معاً.

وهذا من أبرز الدوافع التي جعلتنا نروم الخوض في غمار هذا البحث ولهذا فإن بحثنا هو محاولة الإجابة عن تساؤل فحواه: كيف تجلت ظاهرة البكاء في الشعر العربي؟

ومن هذه الإشكالية الرئيسية تنبثق مجموعة من التساؤلات الفرعية، فما هو البكاء في الموروث العربي؟ وما هي دلالاته؟ وكيف وظّفه الشاعر العربي؟

وبما أن الموضوع يتعلق بظاهرة تعتري سلوك الإنسان أو بما يمر في حياته فيعتبر الشعر تعبير عن حالة انفعالية ووصفا لخلجاتها، فإن العلاقة بينه وبين البكاء علاقة حتمية، لأن التعبير عن تلك الحالات الانفعالية ووصف تلك الخلجات التي لا تتم أحيانا ولا يفصح عنها إلا عن طريق البكاء، كما تتعلق المسالة الأخرى بالعاطفة التي تقف وراء حدوث البكاء.

وللإجابة عن كل هذا قمنا بتقسيم دراستنا لهذا الموضوع إلى ثلاثة فصول وخاتمة.

تحدثنا في الفصل الأول عن البكاء في الشعر العربي فتطرقنا إلى مفهومه في المعاجم، وفي القرآن وفي الحديث الشريف كما تطرقنا إليه عند الصوفية وعند علماء النفس، أما الفصل الثاني الموسوم بـ: جماليات البكاء في الشعر العربي مختارين ثلاثة نماذج الأكثر شيوعاً، حيث تطرقنا إليه في الطلل، والرثاء، والغزل.

أما الفصل الثالث فقد رصدنا فيه دلالات البكاء ضمن ثنائيات تقابلية إذ أن حضور دلالة من إحدى ثنائيات يقتضي غياب الأخرى، وقد اخترنا الثنائيات الأكثر شيوعا والتي تقتضيها طبيعة الموضوع مثل التفاؤل/التشاؤم والحياة/الموت والحزن/الفرح.

وفي الأخير ذيلنا بحثنا بخاتمة كانت حوصلة إلى ما خلصنا إليه من النتائج المتوصل إليها.

وقد زاوجنا في دراستنا بين المنهجين الوصفي التحليلي والنفسي الذي رصدنا من خلالهما ظاهرة البكاء ثم قمنا بتحليلها من خلال الشواهد الشعرية التي زخر بها الموروث الشعري العربي.

وعلى الرغم من الجهود التي بذلناها في دراستنا لهذا البحث إلا أننا واجهتنا بعض الصعوبات أهمها: صعوبة الحصول على المصادر والمراجع الخاصة بالموضوع لمرور الجامعة بفترة طارئة تتعلق بأحداث وطنية مما قتل فينا الرغبة في البحث، بالإضافة إلى التشعب في دراسة الموضوع.

ومهما بلغ الإنسان من جهد في الدراسة لا يمكن أن يعطي البحث حقه، لأن العلوم الإنسانية تبقى مواضعها مفتوحة على مصراعيها وخاصة أن الظاهرة المعالجة غير مستقرة لأنها تعتري سلوك الإنسان.

وفي الأخير لا يسعنا إلا أن نقوم بالشكر الجزيل إلى الأستاذ والأخ المشرف الذي كان صدره يتسع طيلة تلك الأشهر من عثراتنا ويعيد تسديد الرؤية، فقد كان الأخ الكريم والأستاذ المحترم الذي تجاوز بالوفاء والعلم منحدرات الطريق وعقباته.

كما لا ننسى كل من ساعدنا من قريب أو بعيد.

يـــوم: 2019/06/06

غوثـــــــي بطاهـــر

محمـــد بن جلـول

الفصل الأول:

ظاهرة البكاء: تحديد مفاهيمي

1. مفهوم البكاء في المعاجم (لغويا)
2. مفهوم البكاء في القرآن الكريم
3. مفهوم البكاء في الحديث الشريف
4. مفهوم البكاء عند الصوفية
5. مفهوم البكاء عند علماء النفس

التمهيد:

لا شك أن أي فعل من الأفعال، يصدر عن الإنسان العاقل، لابدّ وأن يرتبط ارتباطاً وثيقاً بالدوافع الباعثة على هذا الفعل، ولا يمكن أن يتصور صدور عملٍ من إنسانٍ عاقلٍ بلا سببٍ أو دافعٍ إلا من المجنون، وأفعالنا تعبر عما في نفوسنا، وكان من نعمة الله تعالى علينا أن شرع لنا ما يتوافق مع أنفسنا، قال تعالى :﴿ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾[1]، ولا شك أن الإنسان تعتريه أحوالٌ كثيرةٌ، من جملة الأحوال التي تعتري الإنسان البكاء، ولا شكَّ أن البكاء شأنه شأن كل شيء يفعله الإنسان، له أسبابه ودوافعه، وقبل الخوض في أسباب ودافع البكاء نُعرِّفُ البكاء لغةً واصطلاحاً.

1- مفهوم البكاء في المعاجم (لغويا):

تعريف و معنى البكاء في معجم المعاني الجامع:

1. بَكّاء (اسم):

- المؤنث بَكّاءَة
- صيغة المبالغة: من بكَى / بكَى على / بكَى لـ : هو شَكَّاء بكَّاء يبعث على السآمة.
- البكَّاءون: الذين يكثرون البكاء من خشية الله.
- مَنْ يُبكي غيرَه ويجعلُه يذرف الدُّموعَ.

[1] سورة الملك، الآية: 14.

2. بُكَّاء (اسم):

- مصدر بَكَى.
- لَمْ يَكُنْ بُكائِي إلاَّ أَلَماً وَحُزْناً: سَيَلانُ الدُّموعِ مِنَ الأَلَمِ والحُزْنِ.
- مصدر بكَى / بكَى على / بكَى لـ
- بكاء السُّرور / بكاء الفرح: السّرور إذا أفرط أبكى.

3. بِكاء: جمع بَكِيْءُ.

4. البكاء (اسم):

- صوت البكاء.

5. بَكَأَ (فعل):

- بَكَأَتِ بَكْئاً.
- بَكَأَتِ البئرُ: قلَّ ماؤها.
- بَكَأَ الحيوان الحلوبُ: قلّ لبنه.

6. بَكَى (فعل):

- بكَى/بكَى على /بكَى لـ يَبكِي، ابْكِ، بُكاءً وبُكًى، فهو باكٍ، والمفعول مَبْكيّ–للمتعدِّي.
- بَكَى الوَلَدُ: سالَ دَمْعُهُ.
- بَكَى الفَقيدَ: رَثاهُ.
- بَكَى صاحِبَهُ بُكاءً: حَزِنَ، تأَلَّمَ بَكَى عَلَيْهِ بَكَى لَهُ.

- بكَتِ السَّماءُ: مَطَرَتْ: ما حزن أحدٌ لفقدهم.
- ويقال للمُكثر من البكاء: بَكِيٌّ ، وبَكَّاءٌ.

7. بَكَّ (فعل):

- بَكَّ بَكّاً، بكَّةً.
- بَكَّ الشيءَ: هَشَمه ومزَّقه.
- بَكَّ عُنُقَه: كسره.
- بَكَّ الرجُلَ: قهره وكسر من نَخْوته.
- بَكَّه: زحَمَهُ.
- بَكَّ الدابَّةَ: أَثقل حملها وجهدها في السير.

8. بَكَّى (فعل):

- بكَّى يبكِّي، بَكِّ، تَبْكيةً، فهو مُبَكٍّ، والمفعول مُبَكًّى.
- بكَّى النَّاسَ: أبكاهم، جعل أعيُنَهم تدمع حزنًا أو ألماً أو تأثُّرًا رأى منظرًا بكَّاه.

9. بُكائيّة (اسم):

- اسم مؤنَّث منسوب إلى البُكاء.
- مَرْثيّة أو قصيدة باكية[1].

[1] معجم المعاني الجامع المتاح في www.almaany.com أطلع عليه 2019/03/04.

10. بُكى (اسم):

- مصدر بكَى / بكَى على / بكَى لـ.

11. البكاء (مصطلحات):

يمد ويقصر، فإذا مددت = أردت الصوت الذي يكون مع البكاء، وإذا قصرت : أردت الدموع وخروجها.

تعريف ومعنى بكاء في قاموس المعجم الوسيط:

1. بَكَأَتِ النَّاقَةُ، بَكْئاً وبَكَاءَةً وبُكُوءاً وبُكاءً، فهي بَكِيءٌ وبَكِيئَةٌ: قَلَّ لَبَنُها، الجمع: بِكَاءٌ وبَكَاءَا.

بَكْءُ: نَباتٌ، كالبَكَى مَقْصُورَةً، واحِدَتُهُما البَكْئَةُ[1].

معجم قاموس المحيط:

2. بَكَى يَبْكِي بُكاء وبُكًى، فهو باكٍ، ج: بُكاةٌ وبُكِيٌّ.

- تَّبْكاء، وتِّبْكاء: البُكاء، أَو كَثْرَتُه.

- أَبْكاهُ: فَعَلَ به ما يُوجِبُ بُكاءهُ.

- بَكَّاهُ على الميِّتِ تَبْكِيةً: هَيَّجَه للبُكاء.

- بَكاهُ بُكاءً، وبَكّاهُ: بَكَى عليه، ورَثاهُ.

- بكَى: غَنَّى، ضِدٌّ.

[1] مجمع اللغة العربية، معجم الوسيط، مكتبة الشروق الدولية، مصر، ط1، 1960م، مادة بكا.

- بَكَى: نباتٌ، الواحِدَةُ: بَكاةٌ، وذُكِرَ في الهَمّزِ.

- بَكَيٌّ: كثير البكاء.

- بَكّاءَ: جمل بمكَّة.

- باكويَةُ: بلد بالعجم.

3. بُكاءٌ:

[ب ك ي]. (مصدر بَكَى): لَمْ يَكُنْ بُكائِي إلاَّ أَلَماً وَحُزْناً، سَيَلانُ الدُّموعِ مِنَ الأَلَمِ والحُزْنِ[1].

المعجم الغني:

4. بَكّا:

بَكّاء:

مؤ بَكّاءَة:

1-صيغة مبالغة من بكَى/ بكَى على/ بكَى لـ: هو شَكَّاء بكَّاء يبعث على السآمة .

- البكَّاءون: الذين يكثرون البكاء من خشية الله .

2- مَنْ يُبكي غيرَه ويجعلُه يذرف الدُّموعَ.

معجم اللغة العربية المعاصر:

5. بُكاء:

مصدر بكَى/ بكَى على/ بكَى لـ.

[1] محمد بن يعقوب الفيروز أبادي، القاموس المحيط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط8، 2005م، ص: 243.

- بكاء السُّرور/ بكاء الفرح: السّرور إذا أفرط أبكى.

6. بَكّاء:

بكاء

1-مصدر بكى. 2-سيلان الدمع حزنا أو ألما[1].

المعجم الرائد:

7. بكاء:

كثير البكاء.

8. البكاء: صوت البكاء[2].

9. بكيء: جمع بكاء.

1-بكيء من الآبار قليلة الماء. 2-بكيء «أيد بكاء»: قليلة العطاء.

10. بَكَى: 1-دمعت عيناه. 2 -بكى الميت: رثاه. 3 -بكت السحابة: صبت ماءها.

11. البكاءون من خشية الله: كثيرو البكاء خوفا من الله.

معجم لسان العرب:

بكأ: بَكَأَتِ الناقةُ والشاةُ تَبْكَأُ بَكْأً وبَكُؤَتْ تَبْكُؤُ بَكاءة وبُكُوءاً، وهي بَكِيءٌ وبَكِيئةٌ: قلَّ لبنُها، وقيل انقطع.

وبَكَأَ الرجل بَكَاءَةً، فهو بَكِيءٌ من قوم بكاء: قل كلامه خِلْقَةً.

[1] معجم المعاني الجامع المتاح في www.almaany.com أطلع عليه 2019/03/04.

[2] جبران مسعود، معجم الرائد، دار العلم للملايين، لبنان، ط7، 1992م، ص: 65.

وفي الحديث: «نَحنُ معاشِرَ الْأَنْبِيَاءِ فِينَا بُكْءٌ وبَكَاء» أي قلّة الكلام إلا فيما نحتاج إليه.

وبَكِئَ الرّجل: لم يصب حاجته.

والبُكْءُ: نبات كالجرجير، واحدته بُكْأَةٌ[1].

تعريف البكاء لغة واصطلاحا:

فالبكاء لغةً :بَكى يَبْكي بُكاءً، قال الخليل بن أحمد الفراهيدي: هو مقصور وممدود. وتقول: باكَيْتُ فلاناً فبَكَيْتُه، أي كنتُ أَبْكَى منه.[2]

قال النحويُّون: مَنْ قَصَرَهُ أجراه مُجْرَى الأدواء والأمراض، ومَن مَدَّه أجراه مُجْرَى الأصوات كالثُّغاءِ والرُّغاء والدُّعاءِ.[3]

وا**صطلاحاً**: هو إراقةُ الدُّموعِ مِنْ أثرِ الخَوفِ وغيرِهِ للتَّعبير عمّا في الفؤاد[4]، وقد عرفه المناوي: سيلان الدمع عن حزن.[5]

وقد أجمعت المعاجم على أنّ دلالة البكاء تتلخّص في المعاني التالية:

الحزن والصوت الذي يصاحبه لدافع ما أو سبب يعتري النفس البشرية مثل: الخوف، الضعف، الاستغاثة...

---

[1] محمد بن مكرم ابن منظور ، لسان العرب، دار صادر، بيروت، 1410هـ، مادة بكا.

[2] الخليل بن أحمد الفراهيدي، كتاب العين، دار الكتب العلمية، بيروت، ج1، 2003م، ص: 417.

[3] ابن حسين أحمد بن فارس، معجم مقاييس اللغة، دار الجيل، بيروت، ط1، ص: 285.

[4] ينظر: صالح بن عبد الله بن حميد، نظرة النعيم، دار الوسيلة للنشر والتوزيع، جدة، ط4، ص: 327.

[5] ينظر: عبد الرؤوف المناوي، التوقيف على مهمات التعاريف، تح: بن علي بن زين العابدين، عالم الكتب، 38 عبد الخالق ثروت، القاهرة، ط1، 1990م، ص: 141.

مفردات البكاء:

لقد قمنا بعملية إحصائية لمفردة البكاء، فألفينا جلّها لا تخرج عن المفردات التالية:

البكاء:

نَزَفَ البُكَاءُ عَيْنَكَ فاسْتَعِر عَيْنٌ لِغَيْرِكَ دَمْعُهَا مِدْرَار

دمع:

دَلِيلُ الأَسَى نَارٌ عَلَى القَلْبِ يَلْفَحُ وَدَمْعٌ عَلَى الخَدَيْنِ يَحْمِي وَيَسْفَح

فاضت:

جَرَى السَّيْلُ فاسْتَبكَانِي السَّيْلُ إِذَا جَرَى وَفَاضَتْ لَهُ مِنْ مُقْلَتِي غُرُوب

تسكب:

غَابَ عَنْكُ الرُشْدُ فِي صِغَرٍ وَعُدْتَ تَسْكُبُ دَمْعًا جِدُّ مَخْزُون

أكفكف، عبرة، مدامع:

أُكَفْكِفُ عَبْرَةَ العَيْنَيْنِ مِنِّي وَمَا بَعْدَ المِدَامِع مِن مُلَامِ

تستعبر:

فَلاَ ضَيْرَ أَنْ تَسْتَعْبِر العَيْن أَنَنِي عَلَى ذَلِكَ إِلاَّ جَوْلَة الدَّمْعِ صَابِر

استهلت:

لَقَدْ طَالَ لَيْلِي واسْتَهَلَّت مَدَامِعِي وَفَاضَت جُفُونِي والغَرَامُ يَزِيد

مقلة:

وَنْتَحَلُ حتَّى لاَ يُبْقِيَ لَكَ الهوَى سِوَى مُقْلَةٍ تَبْكِي بِها وَتُنَادِيا

تأوه:

مُتَأَوِّهِين كَنَ فِي أَجْوَافِهِم نَاراً تَسْعَرُهَا أَكُفُ خَوَاطِر

ندب:

أَيَضْحَكُ مَأْسُور وَتَبْكِي طَلِيقَة وَيَسْكُتُ مَحْزُون وَيَنْدُبُ سَالِي

سحَّت:

لاَ غَرْوَ إِنْ شَحَّتْ بِغُمْضِ جُفُونِهَا عَيْنِي وَسَحَّت يالدُّمُوعِ الدُّرف

هلّت:

هَلّت دُمُوعُ العَينِ عِنْدَ الوَداعِ وَأَرْسَلَتْ بِدُمُوعِهَا شَوْقاً وَحَنِينا

ابتلت، جفت:

بِنْتُمْ وَبِنَّا فَمَا ابْتَلَّت جَوَانِحُنَا شَوْقاً إِلَيْكُم وَلاَ جَفَّت مآقِينَا

العويل:

جَزِعَتْ ولَكِن ما يَرُدُّ لِي الجَزَعُ وأَعوَلَتْ لَو أَغْنَى العوِيلُ وَلَو نَفَعُ

سالت:

سَالَت بِهَا العَبَرَاتُ مُجْهَشَة وَجَرَت بِهَا الأَحْزَانُ مِن قِدَم

أهرقت:

أَهْرَقَت بِنْتُ العَيْنِ بَعْدَ فِرَاقُكُم سَيْلاً يَمُوجُ وَبَحْرَ رُوحِي مُتْعَب

ناحب:

تَلْقَاهُم فَتَرَاهُم مِن رَاكِعٍ أَو سَاجِدٍ مُتَضَرِّعٍ أَو نَاحِب

تنهل:

تارَة رَاكِعًا وطُوراً سَاجِداً ذَا دُمُوع تَنْهَل أي انْهِلَال

عبرات، ندب:

عَبَرَات يَكَدْنَ يُحْرِمْنَ مَا حَزَن به ويَدَعْنَ بِه نُدُوبا

أذرى:

يَا عَيْنُ أَذْرِي دُمُوعًا من تَسَاحُما وأَبْكِي صَحَابَة بِسْطامٍ وبِسْطاما

نوح:

غَيْرَ مُجْدٍ فِي مِلَّتِي واعْتِقَادِي نُوحُ بَاكٍ ولاَ تَرَنُّمُ شَاد

توجع:

أَمِنَ المـُنُونِ وَرَيْبِهَا تَتَوَجَّعُ وَالدَّهْرُ لَيْس بِمَعْتَب من يَجْزَع

المآقي:

أتَرَاهَا لِكَثْرَةِ العُشَّاقِ تَحْسَبُ الدّمْعَ خِلْقَةً فِي المَآقي

أجهش، هلّل:

وَأَجْهَشَت للتَوِّ بَادٍ حينَ رَأَيْتُهُ وَهَلَّلَ للرَّحْمان حين رآني

تذرف:

هَوَى تَذْرِفُ العَيْنَانِ مِنْهُ وإنَّمَا هَوى كُلُّ نَفْسٍ حيثُ حلَّ حَبِيبُها

1- البكاء في القرآن:

لا شكَّ أنّ البكاءَ شأنه شأن كل شيء يفعله الإنسان له دوافعه، وأسبابه، ولقد تناول القرآن موضوع البكاء بصورة مقتضبة في تسع آيات، بيَّنا فيها بعض أسبابه ودوافعه، بيّنها الباحث من خلال الوقوف على دلالات النصوص ومعانيها.

2-1-بكاء الكذب والدجل:

قال تعالى :﴿ وَجَاءُوا أَبَاهُمْ عِشَاءً يَبْكُونَ﴾[1]

يخبر االله تعالى عن الذي اعتمده إخوة يوسف بعدما ألقوه في غيابة الجب: أنهم رجعوا إلى أبيهم في ظلمة الليل، وقد لطخوا قميصه بالدم وأخذوا يتباكون ويظهرون الأسف والجزع على يوسف، وزعموا أن الذئب قد أكله، ولكن إرادة الله أبت إلا أن تظهر آثار جريمتهم، فنسوا أن يخرقوا الثوب ويشقّوه إذ لو كان من افتراس الذئب لتمزق القميص، فلم يصدقهم والدهم يعقوب عليه السلام وأعرض عنهم وعن كلامهم إلى ما وقع في نفسه من تدليسهم عليه، فقال :﴿بَلْ

[1] سورة يوسف، الآية: 16.

سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ﴾[1] أي بل زينت أو سهلت وهونت لكم أنفسكم السيئة أمرا منكرا غير ما تصفون وتذكرون.[2]

فمما سبق يظهر لنا أن بكاءهم كان بكاء كذب ودجل إذ أنهم نفذوا جريمة بحق أخيهم ثم جاؤوا يبكون عليه.

2-2-البكاء على فوات الخير:

قال تعالى :﴿وَلَا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَا أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوا وَّأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا مَا يُنفِقُونَ﴾[3].

أي: أنهم لا إثم عليهم في ترك الجهاد، لضعفهم وعجزهم، وكما قال االله تعالى:﴿ لَيْسَ عَلَى الضُّعَفَاءِ وَلَا عَلَى الْمَرْضَىٰ وَلَا عَلَى الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا لِلَّهِ وَرَسُولِهِ مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِن سَبِيلٍ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ وَلَا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَا أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوا وَّأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا مَا يُنفِقُونَ﴾[4] [5].

بل أن الطبري يقول في تفسيره القول في تأويله لهذه الآية هو: ولا سبيل أيضًا على النفر الذين إذا ما جاءوك، لتحملهم، يسألونك الحُمْلان، ليبلغوا إلى مغزاهم لجهاد أعداء الله معك، يا محمد، قلت لهم: لا أجد حَمُولةً أحملكم عليها، تولوا: أي: أدبروا عنك، وأعينهم تفيض من

[1] سورة يوسف، الآية: 18.

[2] ينظر: عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير، تفسير القرآن الكريم، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، ج4، 1419هـ، ص: 375.

[3] سورة التوبة، الآية: 92.

[4] سورة التوبة، الآية: 91-92.

[5] عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير، تفسير القرآن الكريم، ص: 85.

الدمع حزنًا، وهم يبكون من حزن على أنهم لا يجدون ما ينفقون، ويتحمَّلون به للجهادِ في سبيل الله.[1]

2-3-البكاء عند قراءة القرآن:

قال تعالى :﴿إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَٰنِ خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا﴾[2].

البكاء حالةٌ معروفةٌ في النفس البشرية، حين يبلغ بها التأثّر درجةً أعلى من أن يفي به القولُ، فيفيض الدمع ليؤدي ما لا يؤديه القول، وليطلق الشحنة الحبيسة من التأثّر العميق العنيف، فهو فطرةٌ بشريةٌ، وإن كان جِبِلّةً بشريّةً؛ ولكن المؤمن الواعي يعطي هذه الفطرة الإنسانية أبعاداً معرفيّةً ومعاني تعبّديةً، كما في هذه الآية أن الذين أنعم االله عليهم من النبيين إذا تتلى عليهم آيات الله المتضمنة حججه ودلائله وبراهينه وشرائعه المنزلة، سجدوا لربهم خضوعا لذاته واستكانة وانقيادا لأمره، وحمدا وشكرا على ما هم فيه من النعم العظيمة.[3]

2-4-البكاء في الصلاة:

قال تعالى :﴿ قُلْ آمِنُواْ بِهِ أَوْ لاَ تُؤْمِنُواْ إِنَّ الَّذِينَ أُوتُواْ الْعِلْمَ مِن قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلأَذْقَانِ سُجَّدًا وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبِّنَآ إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولاً وَيَخِرُّونَ للأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا﴾[4].

---

[1] ينظر: محمد بن جرير الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، مؤسسة الرسالة، بلاد فارس، 270هـ، ص: 421.

[2] سورة مريم، الآية: 58.

[3] ينظر: محمد بن جرير الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ص: 214.

[4] سورة الإسراء، الآية: 107-109.

تتحدث الآية الكريمة عن أناس من أهل الكتاب، حين سمعوا ما أنزل على محمد خرّوا سجدا، وهذا السجود منهم تعريض بأهل الجاهلية والشرك، فإنهم إن لم يؤمنوا بالقرآن، فإن خيرا منهم وأفضل علماء أهل الكتاب آمنوا وصدقوا به، إذا يتلى عليهم هذا القرآن يخرّون تعظيما له وتكريم[1]، وكيف لا يخرون ساجدين لله باكين وإن أولى المواضع التي ينبغي أن تنهمر فيها الدموع في السجود، لأنه أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجدٌ، فيه يكون العبد قريب من الله تعالى، فحري بالإنسان المسلم الحريص على الخير أن يناجي ربه ويدعوه متذللاً خاشعاً باكياً من خشية الله، لعل الله تعالى أن يرحمنا ويجيب ما نرجو ونسأل، فصفة سجودهم ما قال تعالى :﴿ وَيَخِرُّونَ لِلأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا﴾[2] أي ويخرون ساجدين باكين خاشعين خاضعين لله عز وجل من خشية اللّه، وإيمانا وتصديقا بكتابه ورسوله، ويزيدهم السجود خشوعا، أي إيمانا وتسليما.

2-5-البكاء حزنا:

قال تعالى: ﴿أَفَمِنْ هَذَا الْحَدِيثِ تَعْجَبُونَ وَتَضْحَكُونَ وَلَا تَبْكُونَ وَأَنْتُمْ سَامِدُونَ﴾[3].

استفهام توبيخي، والمعنى أفمن هذا القرآن أيها الناس تعجبون، أنْ نزل على محمد صلى الله عليه وسلم، وتضحكون منه استهزاءً به، ولا تَبْكُونَ حزنا على فرطتم، وأنتم سامِدُون لا هون عنه، غافلون معرضون، أو مستكبرون عنه؟![4] فهؤلاء إذا ما أهلكوا فلن يأسف ولن يحزن عليهم

[1] ينظر: محمد بن جرير الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ص: 577.

[2] سورة الإسراء، الآية: 109.

[3] سورة النجم، الآية: 60.

[4] ينظر: محمد بن جرير الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ص: 558.

من أحد بسبب بغيهم وفسادهم كما قال الله تعالى: ﴿فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنْظَرِينَ﴾[1].

قال: الشريف الرضى: فكأنه تعالى قال: فلن تحزن عليهم السماء والأرض بعد هلاكهم وانقطاع آثارهم، وإنّما عبّر سبحانه عن الحزن بالبكاء يصدر عن الحزن في أكثر الأحوال.[2]

وكذلك في قول الله تعالى: ﴿ وَأَنَّهُ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَى﴾[3].

أي أضحك من شاء من الدنيا بأن سرّه، وأبكى من شاء بأن غمّه، وخلق في عباده الضحك والبكاء والفرح والحزن وسببهما، وهما مختلفان، والمراد أن الله خلق ما يسر من الأعمال الصالحة، وما يسوء ويحزن من الأعمال السيئة[4]، فالبكاء حزنا سيكون لمن أعرض عن ذكر الله وسلك دربا وطريقا ليس فيها مرضاته مصداقا لقوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى﴾[5].

[1] سورة الدخان، الآية: 29.
[2] شريف الرضي، تلخيص البيان في مجازات القرآن، دار الأضواء، بيروت، ج1، ص: 303.
[3] سورة النجم، الآية: 43.
[4] ينظر: عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير، تفسير القرآن الكريم، ص: 466.
[5] سورة طه، الآية: 124.

2-6-البكاء ندما:

قال تعالى: ﴿فَرِحَ الْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلاَفَ رَسُولِ اللّهِ وَكَرِهُواْ أَن يُجَاهِدُواْ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَقَالُواْ لاَ تَنفِرُواْ فِي الْحَرِّ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَّوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ، فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا كَثِيرًا جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾[1].

قوله تعلى ذمّا للمنافقين المتخلفين من صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك، وفرحوا بمقعدهم بعد خروجه، وذلك لأن الخروج في غزوة تبوك كان في شدة الحر، عند طيب الظلال والثمار، فلهذا قالوا: ﴿لاَ تَنفِرُواْ فِي الْحَرِّ﴾[2] فقال الله تعالى لرسوله صلى الله عليه وسلم قل لهم نار جهنّمَ التي تصيرون إليها بسبب مخالفتكم أَشَدّ حَراً مما فررتم منه من الحر، بل أشد حرا من النار، فلو كانوا يعقلون ذلك ويعتبرون به، لما خالفوا وقعدوا، ولما فرحوا بل حزنوا، ثم أخبر اللّه تعالى عن عاقبة أمرهم فقال: فَلْيَضْحَكُوا ... الدنيا قليل، فليضحكوا فيها ما شاءوا، فإذا انقطعت الدنيا وصاروا إلى الله، عز وجل، استأنفوا بكاء لا ينقطع أبدا مما سيلاقون من عذاب شديد، جزاء على ما اقترفوه أو اكتسبوه من الجرائم والنفاق.[3]

2- البكاء في الحديث الشريف:

حظيت كلمة البكاء في الحديث الشريف بنصيب وافر من كلام سيد المرسلين محمد صلى الله عليه وسلم.

---

[1] سورة التوبة، الآية: 81-82.

[2] الآية: السابقة.

[3] ينظر: عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير، تفسير القرآن الكريم، ص: 489.

ومما لاشك فيه أن البكاء يختلف حكمه باختلاف مبعثه وغرضه ومدى صدقه فإن كان البكاء لأي غرض من الأغراض المشروعة، كالبكاء عند المريض، والميت، وعند الموعظة، وفي الصلاة، وقراءة القرآن وعند ذكر الجنة والنار، وهو مما لا شك في مشروعيته، بل قد يصل إلى الوجوب، فقد قال صلى الله عليه وسلم: « لَوْ تَعْلَمُونَ مَا أَعْلَمُ لَضَحِكْتُمْ قَلِيلًا وَلَبَكَيْتُمْ كَثِيرًا»[1] قال فيه النووي: لو تعلمون من عظم انتقام الله تعالى من أهل الجرائم وشدة أهوال يوم القيامة وما بعدها كما علمت وترون النار كما رأيت لبكيتم كثيرا، وإن دلّ هذا يدل على وجوب البكاء بغية النجاة من النار والركوب في سفينة الأمان، إذن البكاء صفة محمودة وحث عليها رسول الله والبكاء والندم شرط من شروط التوبة.

كما أن هناك بكاء محمود في السنة وهو البكاء من خشية الله تعالى وخوفاً منه وطمعا في رحمته، أو أن يكون البكاء من سماع القرآن وتدبر آيته فقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم كثير البكاء عند سماعه للقرآن، عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قَالَ لِي النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّم: "اقْرَأْ عَلَيَّ الْقُرْآنَ"، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَقْرَأُ عَلَيْكَ وَعَلَيْكَ أُنْزِلَ؟! قَالَ:"إِنِّي أُحِبُّ أَنْ أَسْمَعَهُ مِنْ غَيْرِي"فَقَرَأْتُ عَلَيْهِ سُورَةَ النِّسَاءِ حَتَّى جِئْتُ إِلى هذهِ الآيَة: {فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هؤُلاءِ شَهِيداً} قالَ:"حَسْبُكَ الآنَ" فالْتَفَتُّ إِلَيْهِ، فَإِذَا عَيْنَاهُ تَذْرِفَان. متفقٌ عليه[2]. وهذا دليل على أن الإنسان قد يكون إنصاته لقراءة غيره أخشع لقلبه مما لو قرأه هو،

[1] يحي بن شرف النووي، رياض الصالحين، دار الغد الجديد، القاهرة، ط1، سنة 2018م، باب فضل البكاء من خشية الله وشوقا إليه، ص: 165.

[2] يحي بن شرف النووي، رياض الصالحين، ص: 164.

فأحياناً إذا سمعت القرآن من غيرك خشعت وبكيت، لكن لو قرأته أنت ما حصلت لك هذه الحال.

وكان الصحابة رضوان الله عليهم كثيري البكاء من خشية الله تجري دموعهم على خدودهم وتبتل بها وجوههم ولحاهم خشية الله خشوعاً وطمعاً في رحمته وإشفاقاً من عذابه، فعن هانئ مولى عثمان بن عفان رضي الله عنه قال: «كانَ عُثمانُ بنُ عفَّانَ إذا وَقفَ على قَبرٍ يبكي حتَّى يبَلَّ لحيتَهُ ، فقيلَ لَهُ : تذكرُ الجنَّةَ والنَّارَ ، ولا تبكي ، وتَبكي مِن هذا ؟ قالَ : إنَّ رسولَ اللَّهِ صلَّى اللَّهُ علَيهِ وسلَّمَ ، قالَ : إنَّ القبرَ أوَّلُ مَنازِلِ الآخرةِ ، فإن نجا منهُ ، فما بعدَهُ أيسرُ منهُ ، وإن لم يَنجُ منهُ ، فما بعدَهُ أشدُّ منهُ»[1].

إن للبكاء أماكن وأوقات تثير الشفقة والخوف في نفس البشرية مما ينتظرها وجهل مصيرها، فهناك منزلين إما إلى الجنة والتي أعدت للصالحين فيما ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطرت على قلب بشر، وإما إلى النار والعياذ بالله فيها نار حامية، تشقي من عين آنية ليس لها طعام إلا من ضريع لا يسمن ولا يغني من جوع.

فرؤية القبر تؤثر في حالة الشخص النفسية لما تحتويه من معاني ودلالات في النفس البشرية، كالرقة والانكسار.

[1] يحي بن شرف النووي، رياض الصالحين، ص: 165.

ومن حديث عبد الله بن الشخير قال: "أَتَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ يُصَلِّي، وَجَوْفِهِ أَزِيزٌ كَأَزِيزِ الْمِرْجَلِ مِنَ الْبُكَاءِ"[1].

فلقد أشربت قلوب الأنبياء والمرسلين واستولى عليهم الوجل حتى كأنهم عاينوا الحساب، وقد دل مدح القرآن الباكين في مواطن كثيرة.

ولم يقتصر البكاء على الإنسان بل نجد من لا إحساس فيه يحن ويبكي، ومن حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما: أَنّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ " كَانَ يَقُومُ يَوْمَ الْجُمُعَةِ إِلَى شَجَرَةٍ أَوْ نَخْلَةٍ ، فَقَالَتْ : امْرَأَةٌ مِنْ الْأَنْصَارِ أَوْ رَجُلٌ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَلَا نَجْعَلُ لَكَ مِنْبَرًا، قَالَ: إِنْ شِئْتُمْ فَجَعَلُوا لَهُ مِنْبَرًا فَلَمَّا كَانَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ دُفِعَ إِلَى الْمِنْبَرِ فَصَاحَتِ النَّخْلَةُ صِيَاحَ الصَّبِيِّ ، ثُمَّ نَزَلَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَضَمَّهُ إِلَيْهِ تَئِنُّ أَنِينَ الصَّبِيِّ الَّذِي يُسَكَّنُ قَالَ : كَانَتْ تَبْكِي عَلَى مَا كَانَتْ تَسْمَعُ مِنَ الذِّكْرِ عِنْدَهَا"[2].

إذن لم يقتصر البكاء على من لديه إحساس وعواطف بل كذلك ما هو جامد كالنخلة تبكي خشوعاً من ذكر الله، والسماء لو أنزل عليها القرآن لرأيتها خاشعة متصدّعة.

وعن ابن سعد وأبو نعيم عن مسلم بن بشر قال: "بَكَى أبو هريرة رضي الله عنه فِي مَرَضِهِ ، فَقِيلَ لَهُ : مَا يُبْكِيكَ؟، قَالَ: أَمَا أَنِّي لا أَبْكِي عَلَى دُنْيَاكُمْ هَذِهِ، وَلَكِنِّي أَبْكِي عَلَى بُعْدِ

[1] سليمان بن الأشعب الأزدي أبو داود، سنن أبي داود، دار الرسالة العالمية، بيروت، ط1، 2009م، ص: 904.
[2] محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري، كتاب الجمعة، باب الخطبة على المنبر، ص: 918.

سَفَرِي وَقِلَّةِ زَادِي، وَإِنِّي أَمْسَيْتُ فِي صُعُودٍ وَمَهْبَطَةٍ عَلَى جَنَّةٍ وَنَارٍ، وَلا أَدْرِي إِلَى أَيِّهِمَا يُؤْخَذُ بِي"[1].

وإن دلّ هذا يدل على مخافتهم وخشوعهم وخضوعهم للواحد القهار، فبكاؤهم تعبير لهم عن خوفهم من مصيرهم فهم لا يعلمون إلى أين سيسلك بهم الله، فبكاؤهم طمعاً وخوفاً ورجاءاً أو رغباً في نيل مكانة في الجنة.

وكان الصحابة رضوان الله عليهم كثيري البكاء من خشية الله تجري دموعهم على خدودهم وتبتل بها وجوههم ولحاهم خشية الله خشوعاً وطمعاً في رحمته وإشفاقاً من عذابه، يروى عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان في وجهه خطان أسودان مثل الشراك من البكاء.

وعن الحسن قال: كان عمر بن الخطاب يمر بالآية من ورده بالليل فيبكي حتى يسقط ويبقى في البيت حتى يعاد للمرض.

إذن من خلال ما تقدم يتبين أن البكاء راحة لكل إنسان ذكر كان أو أنثى بخلاف ما يعتقد الكثير أن بكاء الرجل ضعف وعيب لا يليق به ولا يليق بكبريائه وقوته، وهذا والله لظلم عظيم أليس إنساناً بين جوانحه قلب ينبض يجد من الألم والحزن ما الله عليم، فهذا رسولنا عليه الصلاة والسلام كان قلبهُ عطوفا يبكي عند مواقف الحزن، فلماذا تغيرت نظرتنا في الوقت الحالي؟ وكأن الرجل صخرة جماد خال من الإحساس، وأن البكاء ليس عيبا في حق الرجال ولا الجماد ولا غيره بل هو رحمة في قلوب العباد.

[1] محمد بن علي بن جميل المطري، سيرة أبي هريرة رضي الله عنه www.alukah.net أطلع عليه في (2019/06/06).

فالبكاء نعمة كبرى من نعم الله سبحانه وتعالى وآية من آياته في النفس البشرية فسبحان من جعل من البكاء نعمة ومن الدموع شفاء، وما أجمل قول "علي بن أبي طالب" عن تقلب الإنسان ما بين الضحك والبكاء:

ولدتك أمّك يا ابن آدم باكيًـا

والقوم حولك يضحكون سرورا

فاعمـل ليومٍ أن تكون إذا بكوا

في يوم موتك ضاحكًا مسرورا[1]

3- البكاء عند الصوفية:

البكاء هو ميزة سلوكية يختص بها خيرة المتصوفة، فقد جاء في الموسوعة أن البكاء عند الصوفي من الله، وإلى الله، وعلى الله، فالبكاء من الله لطول تعذيبه بالحنين إليه إذا ذكر طول المدة إلى لقائه، والبكاء من الفرق لما تعوده المقصر، والبكاء من الفزع للإشفاق مما يحرم من الوصول إليه، والبكاء إلى الله بالحنين، ووله العقل، والتأوه، والوقوف بين يديه برقة الشوق إليه، والتمرغ على بساط الذل زلفى إليه ومخافة أن ينقطع الطريق فيعسر الوصول إليه، وحياء منه، ثم البكاء على الله إذا أبطأ عليه مما عوده، والفرح من الوصول إليه إذا أصابه البر، كالصبي الرضيع يرضع ثدي أمه وهو يبكي.[2]

وفي هذا المعنى يقول " عفيف الدين التلمساني" في الأبيات التالية:

---

[1] علي بن أبي طالب، المتح في www.sudanelite.com أطلع عليه 2019/04/12.

[2] عبد المنعم الحفني، الموسوعة الصوفية، مكتبة مدبولي، القاهرة، ط1، 2003، ص: 670.

دُمُوعِي أَبَتْ إِلاَّ انْسِكَاباً لَعَلَّهَـــــا بِمَكْنُونِ حُبِّي عِنْدَ حِبِّيَ تَشْهَـــــدُ
دَنَوْتُ فَأَقْصَانِي فَعْدْتُ فَرَدَّنِـــــــي فَلاَ هُوَ يُدْنِينِي وَلاَ أَنَا أَبْعُـــــــدُ
دُهِيتُ بِفُقْدانٍ لِمَنْ قَدْ وَجَدْتُـــــــهُ فَلاَ مَدْمَعٌ يَرْقَا وَلاَ وَجْدُ يُخْمَـــــدُ
دَبِيبُ الهَوَى بَيْنَ الضُّلُوعِ مُؤَجَّـــــجٌ لَهِيبُ اشْتِياقي فِيه لِلقَلَبِ مُـــــورِدُ
دَعَانِي فَمَنْ ذَاقَ الهَوَى ثُمَّ لَمْ يَنَـــــلْ وِصَالَ حَبِيبٍ كَيْفَ لاَ يَتَنَهَّـــــــدُ
دَعَاوَى الأَسَى عِنْدي عَلَيْكَ صَحِيحَةٌ فَقَلْبِيَ خَفَّاقٌ وَجَفْنِي مُسَهَّـــــــدُ
دَمِي بِكَ مَسْفُوكٌ وَدَمْعِي مُسَفَّـــــحٌ فَيَصْلُحُ قَلْبِي فِيكَ مِنْ حَيْثُ يَفْسَدُ
دَفَائِنُ حُبٍّ فِي لُحُودِ جَوَانِـــــــحِ لَهَا بِكَ حَشْرٌ كُلَّ يَوْمٍ وَمَوْعِـــدُ
دُجَايَ إِذَا وَاصَلْتَ يَوْمٌ مُؤَبَّـــــدٌ وَيَوْمِي إِذَا أَبْعِدْتُ لَيْلُ مُسَرْمَـــدُ
دُنُوُّكَ أَقْصَى مَا أُحِبُّ وَأَشْتَهِـــــي فَإِنْ نِلْتُهُ فَهْوَ النَّعِيمُ المخَلَّـــــــدُ[1]

وللباكين عند السماع مواجيد مختلفة، فمنهم من يبكي خوفاً، وهؤلاء البكاؤون، ومنهم من يبكي طول الدّهر، ومنهم من يبكي شوقا، ومنهم من يبكي فرحاً، وبكاء الوجدان أعز رتبة، وحدوث ذلك في بعض مواطن حق اليقين ومن حق اليقين في الدنيا إلمامات يسيرة، فيوجد البكاء في بعض مواطنه لوجود تغاير وتباين بين المحدث والقديم، فيكون البكاء رشحا هم من وصف الحدثان لوهج سطوة عظمة الرحمان، وقد يتحصل البكاء بالعدوى، والبكاء فعل لا إرادي

[1] مجدي حسين كامل، أحلى قصائد الصوفية، دار الكتاب العربي، لبنان، ط1، 1997م، ص: 38.

والتباكي فعل إرادي، وسواء كان بكاءاً أو تباكيا فإن الإتيان به يعد إيمانا يزيل الأسى ويمحو الحزن، فالراحة النفسية تحصل بالبكاء، وقالوا إن حبس الدموع يستبقي الحزن.[1]

ومن أجمل ما قرأنا في الشعر الصوفي قول الشاعر "أبو الحسن سمنون بن حمزة الخواص":

بكيتُ ودمعُ العينِ للنَّفسِ راحـةٌ ولكنَّ دمعَ الشَّوقِ يُنْكَأْ بهِ القَلْـبُ

وذكرى لما ألقاهُ ليسَ بنافعـــــي ولكنَّهُ شيءٌ يهيجُ بهِ الكَـــــرْبُ

فلو قِيلَ لي منْ أنت قلتُ معذبٌ بنارِ مواجيدٍ يضرِّمُـــها العتْـــــبُ

بُليْتُ بمنْ لا أستطيعُ عتـــــابَـــهُ ويَعتُبنِي حتَّى يُقالَ لي الذَّنْـــــبُ[2]

فالبكاء في ذاته نفحة من نفحات شعرية، لأنه لا يكون إلاّ من فيض الوجد وقوة الإحساس، وهو من وسائل الإفصاح عن أوجاع القلب.

ويقول زكي مبارك عن بكاء الصوفية: «هذه الشطحات تستحق العطف، لأنها تصدر عن ناس فنوا فناء تاما من الحب الإلهي، وبدت لهم ذنوبهم أثقل من الجبال وخيل إليهم أن رحمة الله لا تنال بغير الدمع والأنين»[3]، ويتجلى هذا في قصيدة "جلال الدين الرومي":

بَكَتْ عَينِي غَدَاة البَيْنِ دَمْعاً وأُخْرَى بِالبُكَا بَخِلَتْ عَلَينَـا

فَعَاقَبتُ التِي بِالدَّمْعِ ضَنَّتْ بَأنْ أغْمَضْتُهَا يَومَ التَقَينَـا[4]

[1] عبد المنعم الحفني، الموسوعة الصوفية، ص: 674.

[2] مجدي حسين كامل، أحلى قصائد الصوفية، ص: 65.

[3] زكي مبارك، التصوف الإسلامي في الأدب والأخلاق، دار الكتب والوثائق القومية، 2009م، ص: 99.

[4] مجدي حسين كامل، أحلى قصائد الصوفية، ص: 72.

4- البكاء عند علماء النفس:

البكاء خبرة سيكولوجية يمر بها كل إنسان في مختلف مراحل حياته، صغيراً كان أو كبيراً، ذكراً كان أو أنثى، غنياً كان أو فقيراً، ورغم شيوع خبرة البكاء لدى جميع الناس، إلا أن الملاحظ أن الدراسات التي أجريت على البكاء، أو الكتابات التي أثيرت حوله، قليلة جداً وأغلب الظن أن مرجع ذلك إنما لكون البكاء خبرة سيكولوجية مؤلمة، والإنسان عادة ما يبتعد عما يؤلمه سواء بقصد أو دون قصد، فلا الكتاب يريدون أن يكتبوا عن البكاء، ولا القراء يقبلون على القراءة عنه!!.

والحقيقة التي لا شك فيها أن البكاء آية من آيات الله عز وجل في النفس الإنسانية، مثله تماماً مثل الحياة والموت والخلق، فهو سبحانه الذي خلق البكاء وسبب دواعيه، وجعله ظاهرة نفسية عامة ومشتركة لدى جميع البشر على اختلاف ألوانهم وأشكالهم وألسنتهم ومذاهبهم وبيئاتهم، فالبكاء لغة عالمية لا تختلف باختلاف الألسن أو الثقافات أو البيئات، فالجميع يبكون بنفس الطريقة ولنفس الأسباب غالباً.

وغالباً ما يكون البكاء مصحوباً بانهمار الدموع من العيون، ورغم أن للدموع وظيفة فسيولوجية تتمثل في ترطيب العين وتليين حركتها أثناء النظر من جهة إلى أخرى، وأيضاً زيادة مقاومتها للعدوى، إلا أن لها أيضاً وظيفة نفسية، فالخبراء النفسيون ينصحون بالبكاء، وأن تترك العنان للدموع تنهمر على الخدين، عند التعرض لمواقف نفسية صعبة أو توتر عصبي شديد،

فالدموع تجلب الراحة النفسية لأنها تساعد على إزالة التوتر النفسي والتخفيف من الضغط العصبي على الإنسان[1].

يؤكد العلم الحديث أن المرأة أكثر بكاء من الرجل بسبب زيادة عدد الغدد الدمعية لديها وغزارة إفرازاتها عن الرجل، والحقيقة أن الدموع تاج على رأس المرأة لا يعرفه إلا الرجل، فالمرأة عندما تبكى فإنها تخفف من توترها العصبي وترتاح بدموعها، ولذلك فالدموع لها نعمة، أما الرجل فإنه لا يعرف كيف يبكي، فالتربية الشرقية تزرع بداخله منذ الطفولة أن الدموع للنساء وأنها ضعف وعيب يجب أن يخجل منه، ولذلك فالرجل يغلي من الداخل تماماً كإناء يغلي ويتبخر ويحتبس بخاره بداخله، أما الغليان داخل المرأة فيتحول إلى قطرات دموع تنفس بها عما بداخلها من غليان، لذلك تنفجر المرأة بالدموع، ولكن الرجل ينفجر فقط!!، وقد يموت الرجل من هَمّ واحد ينفجر بداخله، ولا تموت المرأة من عشرات الهموم، لأنها تبكي فتريح أعصابها أولاً بأول، لذلك يقول بعض الفلاسفة أن المرأة أطول عمراً من الرجل لأنها أكثر منه بكاء وأغزر دمعاً.

فالبكاء نوع من التفريغ والتفريج النفسي الذي يريح أعصاب المرأة ويجعلها أصح وأسلم من الرجل الذي اعتاد ألا يبكي – بحكم التربية – وهى غلطة تربوية كبيرة، فيجب أن نترك الطفل يبكي ففي ذلك تخفيف من توتره العصبي، فالبكاء سلوك صحي وعلاج سريع لأغلب المتاعب النفسية. وهناك مثال يسوقه د.عبد العزيز القوصى في كتابه (مشكلات وصور نفسية) لشاب كان والده قد نفخ فيه منذ صغره أنه رجل وأن البكاء من صفات النساء والأطفال لا من صفات

[1] عبد العزيز القوصي، أسس الصحة النفسية، مكتبة النهضة المصرية، مصر، ط4، 1952م، ص: 384.

الرجال، فنشأ متعوداً أن يكبت مشاعره، فهو يشعر بأنه يريد أن يبكي في بعض المواقف إلا أنه لا يستطيع، فيؤدي به ذلك إلى الضيق الشديد وإلى أزمات نفسية طاحنة، فكان إذا جلس إليه يحمله على البكاء لأن البكاء هنا بمثابة تفريغ لما عنده من ضغط، ولهذا فهو يريحه حيث يخفف عنه بعض ما يعتريه من توتر، ويصرف جزءاً مما عنده من شحنات انفعالية[1].

يرتبط البكاء غالباً بالضعف، فهما متلازمان سواء كان الضعف مرضاً أو وفاة عزيز أو أزمة أو غير ذلك، لأن البكاء في أصله استغاثة، فالصغير عندما يبكي ويرتفع صوته ويجهش فإنه يستغيث، وينجح في أن يحرك في الأم كل عواطف الأمومة فتهرع لحمايته، ويقول علماء النفس أن صرخة الطفل تفتح قلب الأم، فمن فضل الله علينا أن جعلنا نبكي حتى نحصل على الحماية والرعاية والعطف، وقد دلت الدراسات النفسية على أن الطفل في سن الثالثة يبكي في حضور أمه أكثر مما يبكي إذا كان بمفرده، بل أن كثيراً من الأطفال يكونون هادئين فإذا ظهرت الأم بدؤوا يبكون، وهذا معناه أن البكاء له وظيفة فإذا انقطعت صلة البكاء بوظيفته انقطع البكاء، فالمقصود بالبكاء تحريك الآخرين، فإذا كان الآخرون غير موجودين فإن البكاء يفقد وظيفته ويختفي، والإنسان عندما يبكي فإنه يعبر عن ضعفه واحتياجه إلى الأمان والراحة، فلا يجد غير الدموع تنفيساً عما يعانيه من ألم نفسي وضغوط عصبية.[2]

[1] عبد العزيز قصي، أسس الصحة النفسية، ص: 387.
[2] ينظر: المرجع نفسه، ص: 388.

الفصل الثاني:

جماليات البكاء في الشعر العربي

1. البكاء والمقدمة الطللية
2. البكاء وشعر الرثاء
3. البكاء وشعر الغزل

1- البكاء والمقدمة الطللية:

لقد ظهرت المقدمة الطلية بشكل واضح وجليّ في الشعر الجاهلي، وذلك لما لها من أهمية في رسم وهيكلة القصيدة غلى الدرجة التي أصبحت عرفاً تقليديا في القصيدة الجاهلية وذلك لأنها مقدمة صالحة للاستهلال الذي يبدأ فيه النص الشعري وينطلق منه إلى فضائه الواسع. وقد تأثر المتلقي في تلك الحقبة الزمنية بهذه المقدمة وتذوقها فقد كانت نتاجاً للمجتمع الذي كان يعيش فيه. "وقد فرض على الشاعر بناءاً شعريا هندسيا متكرر الوحدات والوظائف والخروج على هذا التقليد خروج على أعراف ثقافية"[1]، ومن مميزات ذلك البناء أن يبدأ بالوقوف على ألطلال وذكر أهلها وذكرياته معها وتأثره بها إلى درجة ذوبان الشاعر في الطلل وذوبان الطلل في الشاعر ذاته، ويبقى ذلك التأثر والتأثير تقليديا إذا لم يقدم المنتج للنص أدلة تثبت صدق مشاعره تجاه الطلل وعمق تأثيره فيه ومن تلك الأدلة فإن البكاء علامة إشارية لعمق التأثير وصدق المشاعر، ومن هنا تنشأ العلاقة بين الأطلال والبكاء وتتطور مع تطور توظيف المقدمة الطللية عبر العصور، ولقد أدرك النقاد القدماء والمحدثون عمق العلاقة بين الطلل والبكاء ويلخص ابن قتيبة آراء الأدباء في ذلك بقوله: «وسمعت بعض أهل الأدب يذكر أن مقصد القصيد إنما ابتدأ فيها بذكر الديار والدمن والآثار فبكى وشكا وخاطب الربع واستوقف الرفيق ليجعل ذلك سببا لذكر أهلها الظاعنين عنها»[2].

---

[1] ياسين النصير، الاستهلال في البدايات في النص الأدبي، دار الشؤون الثقافية، بغداد، ط1، 1993، ص: 58.

[2] ابن قتيبة الدينوري، الشعر والشعراء، تحقيق مفيد قميحة ونعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت، ط2، 1985، ص: 27.

وبذلك يكون البكاء الخطوة الأولى التي يبدأ بها الشاعر بعد وقوفه على الطلل، وهذا ما يؤكده الناقد محمد صادق حسن حينما يجمع بين الطلل والبكاء بقوله: «لم يكن بكاء امرئ القيس على طلل حبيبة راحلة وإنما بكاء على طلل مملكة كندة المنهارة، أنه يبكي على مملكة ويدعو قبيلتي كندة وحمير لتبكيا معه كي يكون الدمع حافز الثأر وذلك ما تحقق على الصعيد التاريخي ومع تنوع الرموز التي تحملها الوقف الطللية»[1].

فالبكاء يعطي علامات وإشارات متنوعة فهو تارة علامة للفراق وأخرى علامة لليأس، أو استعادة للذكريات، أو تذكر الأحبة، أو الموت، أو الارتحال، أو الضياع والمأساة وغير ذلك كثير.

ولقد استمر البكاء ملازماً للطلل مع استمرار المقدمة الطللية والتي بقيت تمثل الاستهلال الأنجع في بناء القصيدة التقليدية على الرغم من الاعتراضات التي أبداها شعراء التجديد في العصر العباسي ابتداءاً من أبي نواس الذي رفض البكاء على الأطلال بقوله:

قُل لِمَن يَبكي عَلى رَسمٍ دَرَس واقِفاً ما ضَرَّ لَو كانَ جَلَس[2]

وانتهاءاً بأبي الطيب المتنبي الذي اعترض على المقدمة التقليدية بقوله:

إذا كانَ مَدحٌ فالنّسيبُ المقَدَّمُ أكُلُّ فَصِيحٍ قالَ شِعراً مُتَيَّمُ[3]

[1] محمد صادق حسن، خصوبة القصيدة الجاهلية، دار الفكر، بيروت، ص: 150.

[2] حسن بن هانئ الحكمي أبي نواس، الديوان، تح: بهجت عبد الغفور الحديثي، دار الكتب الوطنية، أبو ظبي، ط1، 2010، ص: 639.

[3] أبو الطيب المتنبي، الديوان، تح: عبد الرحمان البرقوقي، دار الكتاب العربي، بيروت، 1980، ص: 69.

ورغم كل هذه الاعتراضات على المقدمة الطللية إلا أننا حينما نطلع على دواوين هؤلاء الشعراء نجد أنهم لم يتجاوزوا تلك المقدمة في الكثير من قصائدهم ومثال ذلك قول المتنبي في مطلع إحدى قصائده:

لَكِ يا مَنازِلُ في القُلوبِ مَنازِلُ أقفَرْتِ أنْتِ وهنّ منكِ أواهِلُ

يَعْلَمْنَ ذاكَ وما عَلِمْتِ وإنّمَا أوْلاكُما يُبْكَى عَلَيْهِ العاقِلُ

وأنَا الذي اجتَلَبَ المِنِيّةَ طَرْفُهُ مَنِ المطالَبُ والقَتيلُ القاتِلُ[1]

والأمثلة كثيرة على المقدمة الطللية لدى الشعراء المحافظين والمجددين، إلا أنه ما يهمنا في هذا البحث هو العلاقة بين الطلل وإحدى مقوماته الموضوعاتية ألا وهو البكاء، والبكاء كما أشرنا هو أحد العلامات الإشارات وليس ألفاظا لغوية ومن ثم فإن علاماته لا تنحصر في لغة معينة، وإنّما تنفذ في لغات العالم كافة بوصفها تعبيراً إشارياً متعدد الأشكال ويدخل في صلب العلاقة بين الدال والمدلول ويندمج معها في أشكال التعبير ويحافظ في الوقت ذاته على استقلاله عن الدلالة اللغوية البحتة وذلك لأن "الدراسات الدلالية اتجهت نحو النصوص الأدبية وغيرها ونحو اللسانيات، تاركة للأبحاث السيميولوجية الاهتمام بأشكال التعبير عن اللسانية"[2].

ولكي يدرس النص ويحلل بشكل متكامل يجب بحث الأشكال التعبيرية غير اللسانية مع البحث عن الأشكال التعبيرية اللسانية ومستوياتها الدلالية والتركيبية الصوتية وعندها يمكن الإحاطة بدراسة النص من جوانبه المختلفة، ومن هنا سنقف عند مقدمات مختارة من قصائد

[1] أبو الطيب المتنبي، الديوان، ص: 366-367.

[2] برنار توسان، ما هي السيميولوجيا، تر: محمد نظيف، إفريقيا الشرق، المغرب، ط2، 2000، ص: 42.

الشعر الجاهلي لنلمح من خلالها الأشكال التعبيرية غير اللسانية والمتمثلة بظاهرة البكاء في المقدمات الطللية في ذلك الشعر.

تشغل لوحات الافتتاح الطللية –كما هو معروف– حيزاً واسعاً من المطولات أو القصائد الجاهلية، فضلا عن كونها أبرز سمة فنية في البناء المكتمل بلوحاته وموضوعاته الشعرية المتعددة، حتى طغت شهرتها على بقية الافتتاحيات الأخرى، منها الشيب والطيف والشكوى والخمر وغيرها، وقد لا نغالي إذا قلنا أن هذا النوع من الافتتاح كان وما زال مالئ دنيا الشعر الجاهلي، وشاغل النقاد والدارسين (القدماء منهم والمحدثين) الذين ذهبوا في تفسير بواعثها مذاهب شتى بيد أن كلمتهم تكاد تتفق أن الباعث الرئيسي في تشكيلها هو "ذكر الحبيبة الظاعنة عن ديارها من فرط الصبابة"[1].

وقد أكد هذا المؤثر أكثر من شاعر ولاسيما علقمة الفحل الذي أودعه في أوجز لفظ وأوفى معنى إذ يقول:

هل ما عَلِمْتَ وما اسْتَودِعْتَ مَكْتُومُ

أَم حَبْلُها إِذْ نَأَتْكَ اليومَ مَصْرُومُ

أَمْ هل كَبِيرٌ بَكَى لم يَقْضِ عَبْرَتَهُ

إِثْرَ الأَحِبَّةِ يومَ البَيْنِ مَشْكُومُ[2]

ومن طبيعة الذكرى أن تثير الحزن والأسى، وذلك منطلق قرره النابغة الجعدي في قوله:

[1] ابن قتيبة، الشعر والشعراء، ص: 74.

[2] علقمة الفحل، الديوان، تح: لطفي الصقال، ودرية الخطيب، دار الكتاب العربي، سوريا، ط1، 1969م، ص: 50.

تَذَكَّرتُ وَالذّكرَى تُهيِّجُ للفَتَــى

وَمِن حَاجَةِ المِحزُونِ أَن يَتَذَكَّرا[1]

وقد عبر الشعراء عن هذا الحزن في الأغلب الأعم بالبكاء وذرف الدموع إفراغاً لهذا الشعور وتنفيسا عنه، حتى غدت الوقفة الطللية مقرونة بالبكاء منهجيا فنياً تقليدياً موروثا، أو تقليداً لمن "ابتدأ بذكر الديار والدمن والآثار وبكى وشكا"[2]، وذلك ما اعترف به امرؤ القيس في قوله:

عُوجَا على الطّلَلِ المحيلِ لَعَلَّنَا نَبْكِي الدِّيَارَ كَمَا بَكَى ابنُ حِذَامِ[3]

ليغدو من خلال هذا الاعتراف "أول من سهل الطريق إليه وأعطاه النسق النهائي"[4].

ولا أدل على ذلك من أن ظاهرة البكاء نفسها تكاد تشكل ملمحاً مشتركا في المعاني التي أتى بها الشعراء في الوقفة الطللية.

ومن الصور الفنية التي تعاون الشعراء على رسمها في الوقفة الطللية، نذكر منها صورة الشاعر باكيا في إثر ارتحال الحبيبة التي أمرضها تذكره إياه كما في قول امرئ القيس:

كَأَنِّي غَدَاةَ الْبَيْنِ يَوْمَ تَحَمَّلُوا لدَى سَمُرَاتِ الْحَيِّ نَاقِفُ حَنْظَلِ[5]

---

[1] الجعدي النابغة، الديوان، تح: عبد العزيز رباح، دمشق، منشورات المكتبة الإسلامية، دمشق، ط1، 1964، ص: 10.

[2] ابن قتيبة، الشعر والشعراء، ص: 74.

[3] امرؤ القيس، الديوان، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، مصر، 1964، ص: 15.

[4] شوقي ضيف، العصر الجاهلي، دار المعارف، مصر، ط10، 1982، ص: 260.

[5] امرؤ القيس، الديوان، ص: 09.

فلم يكن استخدام الشاعر للفظتي (سمرات، الحي) وهي الأشجار الشوكية في معناها المعجمي و(الحنظل) وهو نبات مر المذاق في نطاق هذا المعنى أيضا، وصفا للمكان، أو تشبيها ما جرى من دمعه لرحيل الحبيبة بما يسيل من عين ناقف الحنظل إنما قصد ذلك التلاؤم بين المكان ومشاعر الوداع، فإذا كانت الأشجار الشوكية تدل في معطيات رموزها على الجفاف والظمأ والجلد والحنظل في رمزه المعبر عن المرارة، والمذاق غير الشهي فإن الوداع نفسه يتضمن في معانيه المجازية كل ما يجعل النفس عطشى ومتجرعة مر العذاب لفراق الأحبة، ومن هذا المنظور نطالع صورة أخرى مجتزاة من أحد أبيات هذه اللوحة أيضا قوامها هذه الكلمات المشحونة بعاطفة الحب:

فَفَاضَتْ دُمُوْعُ العَيْنِ مِنِّي صَبَابَةً عَلَى النَّحْرِ حَتَّى بَلَّ دَمْعِي مِحْمَلِي[1]

فالمعنى الظاهر للبيت يبدو واضحاً في ذهن القاصي والداني، بيد أننا عندما ندقق النظر في لفظة (محملي) ضمن سياقها الشعري يتراءى لنا معنى أعمق من معناها المعجمي (حمالة السيف)، إذ أراد الشاعر أن يومئ إلى المتلقي أنه يبكي عشقاً ووجداً وهياما لا خوراً أو ضعفاً، فلم تكن غايته إبراز غزار الدموع ووصولها إلى المحمل قصد السيف نفسه بوصفه رمزاً للشجاعة والفروسية والبطولة ليؤكد أنه الفارس العاشق الباكي، وتلك هي القيمة الحقيقية للصورة في بعديها الفكري والفني.

وفضلا عن اقتراب بقية صور الشعراء مما أبدعه امرؤ القيس، ومما يقيم القناعة بذلك أن النابغة الذبياني هو الآخر يصور لنا مشاعر نفسه الحزينة إزاء ما أحدث الدهر أو ذرى في منازل

[1] امرؤ القيس، الديوان، ص: 88.

الأحبة، التي كان لها أثرها في سيلان دموعه وانصبابه، كانصباب الماء من قربة بالية، وهذا ما نطالعه في قوله:

أُسائِلُها وقد سَفَحَتْ دُموعي كأنّ مَفيضَهُنّ غُروبُ شَنّ[1]

أما علقمة الفحل فرسم صورة قوامها تشبيه عينيه من كثرة دموعها لسيلانها بما يفيض من الدلو العظيمة تسرع بها ناقة، إذ يقول:

فالعينُ منِّي كأنَّ غربٌ تحُطُّ به دَهْماءُ حارِكُها بالقِتْبِ مَخْزومُ[2]

وارتأى زهير بن أبي سلمى أن تكون صورة غزارة دموعه في غربي ناقة ينضح عليها قد قتلت بالعمل حتى ذلت في سقيها النخل كما في قوله:

كَأنّ عَيْنيّ في غَرْبَيْ مُقَتَّلَةٍ منَ النّوَاضِحِ تسقي جَنّةً سُحُقَا

تَمْطُوا الرّشاءَ فتُجري في ثِنايَتِها مِنَ المِحالَةِ ثَقْباً رائِداً قَلِقَا[3]

ويعمد الحطيئة لدى تأمله رسوم الديار إلى تشبيه دموعه بسيلان الماء من جانب الدلو حين تنزع من البئر المملوءة، والماء يفيض من جوانبها، وينحدر رشاش أبيض نحو الأرض، وقد أودع هذه الصورة في هذه الأبيات:

أمِنْ رَسْمِ دارٍ مَرْبَعٌ ومصِيفُ لِعَيْنَيكَ مِنْ مَاءِ الشُّؤونِ وَكِيفُ

رَشَاشٌ كَغَرْبَيْ هَاجِرِيٍّ كِلاهُمَا له داجنٌ بالكرَّتين عليفُ

---

[1] النابغة الذبياني، الديوان، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، مصر، 1985، ص: 125.

[2] علقمة الفحل، الديوان، ص: 53.

[3] أبي العباس أحمد، شرح ديوان زهير بن أبي سلمى، دار الكتب، القاهرة، 1950، ص: 37- 38.

تَذَكَّرتُ فيها الجَهلَ حَتّى تَبادَرَت دُموعي وَأَصحابي عَلَيَّ وُقوفُ[1]

وما يمكن أن نخلص إليه من ظاهرة بكاء الشعراء على أطلال الأحبة والأهل، أن التناظر والتماثل قائم في المعاني والتراكيب والتشبيهات والصور، غير أنه من جهة ثانية أتاح لهم التدقيق فيها أن يحلوها ويكشفوها أتم كشف وجلاء، إلى جانب براعتهم في إعادتها وصوغها صوغاً جديداً، فكان كفيلاً بأن يبعد الملل والسأم في نفوس سامعيهم.

2- البكاء وشعر الرثاء:

إن البكاء يشغل مرتبة عالية ومساحة واسعة في فضاء شعر الرثاء منذ نشأته وحتى الوقت الحاضر، والرثاء بحد ذاته يعني البكاء، يقول ابن منظور: «رثيته رثيا وجمعها مراث ومفردها مرثاة أو مرثية وتعني البكاء وتعداد محاسن الميت»[2]، وهذا يعني أن الرثاء هو امتزاج البكاء بذكر فضائل المرثي، فالشعراء رثوا وبكوا من فارق الحياة وطواه الموت، ليعبروا من خلال ذلك بالبكاء عن حزنهم وشقائهم وتعاستهم بمصابهم الجلل هذا.

وما يهمنا في هذا المقام هو تتبع الصور الفنية التي شكل البكاء فيها بعداً فكرياً في رثاء الشعراء، ونواح الشواعر وندبهن، إذا أخذنا في الحسبان أن النسوة أشجى الناس قلوباً عند المصيبة، وأشدهم جزعاً على هالك، وهو رثاء أقرب ما يكون إلى بكاء ونواح وندب و"كن يصنعن ذلك على القبر وفي مجالس القبيلة والمواسم العظام"[3].

---

[1] الحطيئة، الديوان، تح: نعمان أمين طه، القاهرة، ط1، 1957، ص: 24، 25.

[2] محمد بن مكرم ابن منظور، لسان العرب، ص: 156.

[3] شوقي ضيف، العصر الجاهلي، ص: 207.

ويمكن أن نعد الخنساء أبرز شاعرة "استوفت كل صور الرثاء وتقاليده الموروثة"[1] ولاسيما مراثيها في أخويها (معاوية وصخر) التي غلب عليها البكاء في مطالع قصائدها بخاصة، وذلك ما تمخض عن استقرائنا لديوان الشاعرة، إذا كانت تستهل بعض افتتاحيات قصائدها بـ "يا عين جودي"[2]، أما بقيتها فكانت تتقاسمها (البكاء والعين) في عبارات ذات اختلاف يسير بينها، وهي بحسب تعاقبها "يا عين مالك، وما بال عينيك، أعين ألا فابكي، بكت عيني، أبكي لصخر أهاج لك الدموع ابكي عميد الأبطحين، ألا يا عين فاهمري، قذى بعينيك، اعيني هلا تبكيان، يا عين فيضي، عين فابكي، الا ابكي على صخر، يا عين ابكي، الا يا عين ويحك، الا ما لعينيك لا تهجع، هريقي من دموعك، ما بال عينيك".[3]

وتبدو السمات المشتركة في بكائيات الخنساء أنها تقوم على إبراز المعاني بصيغة مباشرة، مع إضفاء اللمحة الفنية المتشكلة بإحدى أدوات التشبيه من ذلك تصويرها جريان الدمع من العين بالماء الجاري يتخذ سبيله في مجراه، كما في قولها:

يا عَينِ جودي بِدَمعٍ مِنكِ مِدرارِ جُهدَ العَويلِ كَماءِ الجَدوَلِ الجاري[4]

أو تصويرها الدمع المسكوب من الدمع باللؤلؤ المنثور صفوفا في سماط يرسل بريقا:

---

[1] شوقي ضيف، العصر الجاهلي، ص: 207.

[2] عادل البياتي، دراسات في الأدب الجاهلي، المغرب، الدار البيضاء، 1986، ص: 171.

[3] ينظر: الخنساء، الديوان، شرح: حمدو طماس، دار المعرفة، لبنان، دط، 2012م، ص: 14.

[4] المصدر نفسه، ص: 7.

يا عَينِ جودي بِدَمعٍ مِنكِ مَسكوبِ كَلُؤلُؤٍ جالَ في الأَسماطِ مَثقوبِ[1]

أو تشبيه الدمع المنحدر على الخد بالدر المتدحرج:

يا عَينِ جودي بدَمْعٍ غَيرِ مَنْزُورِ مثلِ الجُمانِ على الخَدّينِ مَحدورِ[2]

ومن الشعراء من قرن رثاءه لقومه بالبكاء أو بمعنى أدق كأن البكاء هو لغة الرثاء ومفرداته، وصور الحزن المعنوي في أبعادها المحسوسة، وذلك ما نتلمسه في بعض شعر امرئ القيس الذي كان ينشد من عينيه أن تصب الدمع صباً لتريح قلبا مهموماً من صور مصرع ملوك كندة التي كانت باعثاً لذلك البكاء لا الرثاء فحسب إذ يقول:

أَلا يَا عَيْنُ بَكِّي لِي شَنِينَا وَبَكِّي لِلْمُلُوكِ الذَّاهِبِينَا

مُلُوكًا مِنْ بَنِي حُجْرِ بْنِ عَمْرٍو يُسَاقُونَ الْعَشِيَّةَ يُقْتَلُونَا

وَلَمْ تُغْسَلْ جَمَاجِمُهُمْ بِغَسْلٍ وَلَكِنْ بِالدِّمَاءِ مُرَمَّلِينَا

تَظَلُّ الطَّيْرُ عَاكِفَةً عَلَيْهِمْ وَتَنْتَزِعُ الْحَوَاجِبَ وَالْعُيُونَا[3]

ونجد شعراء آخرين يدعون الناس إلى البكاء وذرف الدموع عند موت أو مصرع ذي شأن، اظهار لرزء المصيبة، وعظم الخطب كدعوة أوس بن حجر لدى رثائه فضالة بن كلدة أهل مجالس الشرب من الفتيان للبكاء في قوله:

[1] الخنساء، الديوان، ص: 75.

[2] ينظر: المصدر نفسه، ص: 14.

[3] امرؤ القيس، الديوان، ص: 300.

لِيَبْكِكَ الشَّرْبُ والمِدَامَة وَالْ فِتْيانُ طُرًّا وطَامِعٌ طَمِعَا[1]

ونظير هذه الدعوة قول لبيد في رثاء النعمان بن المنذر:

النّعْمانِ شَرْبٌ وقَيْنَة ومُخْتَبِطاتٌ كالسَّعالي أرامِلُ[2]

ولا نغفل موضوع رثاء النفس أو البكاء عليها، لدى معاناة الشاعر من وطأة الأحزان والهموم والاكتئاب، تارة أو الإحساس بدنو الأجل ومفارقة الحياة تارة أخرى، ويعمد بعض الشعراء إلى تصوير تخيلي للطقوس التي تمارس بعد موتهم، يتصدرها بكاء النساء ونوائحهن من ذلك ما نطالعه في رائية (الأفوة الأودي) التي رثا فيها نفسه:

أَلا عَلِّلاني وَاِعلَما أَنَّني غَرَر وَما خِلتُ يُجديني الشَفاقُ وَلا الحَذَر

فَنائِحَةٌ تَبكي وَلِلنَوحِ دَرسَةٌ وَأَمرٌ لَها يَبدو وَأَمرٌ لَها يُسَر

وَمِنهُنَّ مَن قَد شَقَّقَ الخَمشُ وَجهَها مُسَلِّبَةً قَد مَسَّ أَحشاءَها العِبَر[3]

ولم يكن الشاعر الجاهلي يهتم بإظهار حزنه وجزعه على فراق الدنيا وإنما كان يهتم بإظهار مكانته أو منزلته المفصح عنها حزن أهله وعشيرته وأصحابه وبكاؤهم عليه... كما يقول السموأل:

[1] أوس بن حجر، الديوان، تح: محمد يوسف نجم، دار بيروت، لبنان، ط1، 1960م، ص: 55.
[2] لبيد بن ربيعة العامري، الديوان، تح: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ط1، 1993م، ص: 257.
[3] عبد القاهر الجرجاني، الطرائف الأدبية، تح: عبد العزيز الميمني، دار الكتب العلمية، بيروت، ط2، 1937م، ص: 12.

يَا لَيتَ شِعري حينَ أُندَبُ هالِكاً ماذا تُؤَبِّنُني بِهِ أَنواحي

أَيَقُلنَ لا تَبعَد فَرُبَّ كَريهَةٍ فَرَّجتُها بِشَجاعَةٍ وَسَماحِ[1]

3- البكاء وشعر الغزل:

يعد الغزل الغرض الأوسع في الشعر العربي، وذلك لجملة أسباب منها علاقته الوثيقة بالعاطفة والوجدان والغرض الأصلح في الغناء، وقدرته على ترجمة العلاقة بين الرجل والمرأة ووصفها وغيرها كثير، وقد انتشر الغزل في الشعر العربي انتشاراً منقطع النظير، وأصبحنا أمام مدارس غزلية متخصصة في شعر الغزل لعل من أشهرها مدرسة الغزل العذري ومدرسة الغزل الصريح، وانتشر شعراؤها حتى أصبح حصرهم أمراً صعب المنال.

ولسنا هنا بصدد بحث تفاصيل الغزل وإنما بصدد بحث العلاقة بين الغزل والبكاء، الذي يعد أحد المظاهر العلاماتية التي لا يمكن تجاوزها في بناء القصيدة الغزلية، ويسعى البحث لكشف تلك المظاهر وتوظيف البكاء فيها وصفا ودلالة.

ومن المعروف أن الغزل نابع من العاطفة الإنسانية لأنه تعبير عن مشاعر الإنسان تجاه من يحب كما هو وصف للعلاقة بين الرجل والمرأة ويظهر فيه "وصف المرأة أو التحدث عنها أو التحدث إليها أو تخيل قولا عنها أو وصف ما تثير في نفسه من حرقة أو نعيم"[2]، والمتتبع للغزل في الشعر العربي يجد بوضوح مصاحبة البكاء للحديث الذي يدور بين العاشقين ويرى أن الحب هو مزيج من الحرقة والنعيم لدى شعراء المدرسة الحضرية كما يجده حرقة خالصة لدى شعراء المدرسة

[1] السموأل بن عادياء، الديوان، تح: واضح الصمد، دار الجيل، بيروت، ط1، 1996م، ص: 16.

[2] لجنة من أدباء الأقطار العربية، الغزل، دار المعارف، مصر، 1924، ص: 12.

العذرية، وهذه الحرقة تثير العاطفة على الانفعال وهذا بدوره يثير البكاء تعبيراً عن تلك العاطفة ومدلولا لها في تصوير ذلك الانفعال، وحتى النعيم فإنه حينما يصبح من الماضي سينقلب إلى أسى يثير الأشجان ولن يعود، إذ إن البكاء قد دخل في مختلف مفاصل الغزل واتخذ إشارة دالة لكل مفصل دخل فيه ولعل من أبرزها هي:

أ-البكاء علامة للفراق:

الفراق هو الابتعاد عن شيء ألفه الإنسان وتعلق به فردا كان أو جماعة أو مكانا استقر به ولو لمدة زمنية وجيزة، وينشأ عن هذا التعالق قوة جذب تتفاوت في حدتها تبعا لشدة الجذب ومقدار التأثر الناتج عن ذلك التعالق، ولقد استثمرت القصيدة الغزلية عامل البعد والافتراق واتكأت عليه في صور عديدة ومتنوعة ذ، وذلك لأنه أحد حوافز الوجدان والعاطفة كما وأنه مبعث الأشواق وتباريحها، وهذا يؤهله بجدارة في أن يشغل الموقع المتميز في هيكلة القصيدة الغزلية القائمة على بث الأشواق وحب اللقاء، وبغض الفراق والشكوى منه ومن عقباته، وتنشأ العلاقة بين الفراق والبكاء كون الفراق مؤجج قوي للعاطفة والعاطفة سبب أساسي في حدوث البكاء وفيضان العيون بالدموع فالعلاقة إذن قائمة على مبدا التوالد.

ويصور مجنون ليلى هذه الحالة بعد أن يجعل من نفسه مستقبلا لإشارة البكاء التي يطلقها حمام الأيك ويتساءل عن فحوى هذه الإشارة أهي إشارة فراق أم إشارة حفاء وهذا يعني التعدد الإشاري لمدلول البكاء ويأتيه الجواب على النحو الآتي:

فَقُلْتُ حَمَامَ الأَيْكِ مَالَكَ بَاكِياً أَفارَقْتَ إلْفاً أَمْ جَفاكَ حَبِيبُ

فقال رَماني الدَّهرُ مِنْهُ بِقوسِهِ وَأَعْرَضَ إلْفِي فالفُؤادُ يَذوبُ[1]

فالجواب إذن هو أن الدهر قد أبعد الأحبة وفرّق بينهم ونتج عن ذلك إثارة البكاء التي تدل على ذوبان الفؤاد بسبب الفراق والبعد الذي لا يطاق.

وعلى وفق ثلاثية المبنى عند بيرس والمتمثلة بالممثل المحمول والرابطة الوسيلة والموضوع فإن الفراق هو الموضوع والبكاء هو الوسيلة المعبرة عن الموضوع والممثل المحمول هو صاحب العلامة وهو الذي يصدر إشارة البكاء ليعبر من خلالها عن موضوع النص ويمحور دلالة النص حول هذه الإشارة المنبعثة.

ويجعل قيس لبنى من دموع البكاء إشارة ملازمة للفراق وإحدى علاماته البارزة التي يمكن تجاوزها في وصف فعل الفراق وعواديه حيث يقول:

بِتُّ وَالهَمُّ يا لُبَينى ضَجيعي وَجَرَت مُذ نَأَيتِ عَنّي دُموعَي

وَتَنَفَّستُ إذ ذَكَرتُكِ حَتّى زالَتِ اليَومَ عَن فُؤادي ضُلوعي[2]

فالهم والدموع ملازمان للفراق ولا ينفصلان عنه بل هما من مؤثراته ومن علاماته الناتجة عن ذلك التأثير، ولا تقف علامة البكاء والدموع عند حدود الفراق بل تتجاوزه إلى توضيح مسألة تتعلق بالعلوم الطبية الصرفة حيث أثبت العلماء "أن البكاء يزيد من ضربات القلب ويعتبر تمريناً مفيدا للحجاب الحاجز وعضلات الصدر والكتفين، وبعد الانتهاء من البكاء تعود سرعة ضربات القلب

[1] قيس بن الملوح مجنون ليلى، الديوان، تح: عبد الرحمان المصطاوي، دار المعرفة، بيروت، ط3، 2007، ص: 99.

[2] المصدر نفسه، ص: 94.

إلى معدلها الطبيعي وتسترخي العضلات مرة أخرى وتحدث حالة الشعور بالراحة"[1]، وهذا ما يوضحه البيت الثاني من النص فضربات القلب وحركة الحجاب الحاجز والضلوع الناتجة عن البكاء، قد فعلت ما فعلته في الفؤاد والضلوع، وهذا ما يدعّم مصداقية النص ويعطي دليلا واضحا على دقة الوصف وصدق المرسل في رسالته النصية سواء أكان في اللغة أو في العلامات المصاحبة لها لأنها جميعا تصب في مصب واحد وتنتج دلالة واحدة.

ب–البكاء علامة من علامات اليأس:

إن اليأس حالة تشاؤمية يمر بها الإنسان حينما يجد نفسه أنه وصل إلى طريق مسدود في مبتغاه ولا أمل في الوصول إلى ذلك المبتغى، وهو بذلك الصورة الضدية للأمل لأن الأمل حالة تفاؤلية لولاها "لا يعرف الإنسان تلك الساعات والأيام المرهقة المثقلة بالهموم التي يخيم فيها اليأس على الروح والفكر، ولولا الأمل في الفوز وفي جني ثماره في الحياة، لظل الناس في أماكنهم لا يتحركون"[2]، وبالتاي فإن الأمل هدف يأمل الإنسان الوصول إليه وحينما يحقق الإنسان في ذلك الوصول ويتضاءل عنده الأمل إلى درجة الصفر فإنه عندها سيصاب باليأس والقنوط، واليأس بدوره يولد الإحساس بالخيبة والفشل والإحباط في الوصول إلى الهدف الذي بنى عليه الأمل وهذا ما يجعل من اليأس "نزعة في الذهن إلى رؤية كل شيء أسود قاتماً وأخذ الجانب السيء من كل شيء وإهمال ما عداه"[3].

---

[1] البكاء وعلم النفس، شبكة الأنترنت www.lbtesama.com

[2] كريم حسن إلامي، الأمل واليأس في الشعر الجاهلي، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ط1، 2008، ص: 23.

[3] عبد اللطيف شرارة، تغلب على التشاؤم، دار بيروت للطباعة، بيروت، 1987، ص: 09.

ولقد أصبحت هذه النزعة ظاهرة متميزة في الغزل العذري وأصبحت صفة يتسم بها الشعراء العذريون، وقلما تخلو قصائدهم من حالة اليأس والسوداوية في النظرة إلى الحياة، وبغض النظر عن العوامل التي ولدت لديهم هذه النظرة فإن القارئ قد وجدها في شعرهم الغزلي، حيث جعلوا إخفاقهم في الحب أو الوصول إلى مبتغاهم من الحبيب السبب الأبرز في ذلك اليأس، ومن اليأس استلهموا الكثير من الإيحاء في نظم الشعر، وكان حافزا لهم في التعبير عن الضغوط النفسية التي يعانون منها سواء عن طريق اللغة أو عن طريق الإشارات المعبرة عما تخفي الصدور، ولقد عرف هؤلاء الشعراء أهمية البكاء بوصفه إشارة يمكن أن تساعدهم في الكثير من المواقف التعبيرية والإشارية فهي دالة من مدلولات الفشل والإحباط وهي علامة من علامات اليأس ولكثرة اعتمادها في أشاعرهم عدّت ظاهرة بارزة من ظواهر القصيدة الغزلية، ومثالا على ما نقول نختار هذه الأبيات من شعر مجنون ليلى:

أَيا لَيلَ ما لِلصُبحِ مِنكِ بَعيدُ وَإِنّي لَمَحزونُ الفُؤادِ عَميدُ
أُراعي نُجومَ اللَيلِ سَهرانَ باكِياً قَريحَ الحَشا مِنّي الفُؤادُ فَريدُ
بِحُبِّكِ يا لَيلى اِبتُليتُ وَإِنَّني حَليفُ الأَسى باكي الجُفونِ فَقيدُ
لَقَد طالَ لَيلي وَاِستَهَلَّت مَدامِعي وَفاضَت جُفوني وَالغَرامُ يَزيدُ
أُكابِدُ أَحزاني وَناري وَحَرقَتي وَوَصلُكِ يا لَيلى أُراهُ بَعيدُ[1]

[1] قيس بن الملوح مجنون ليلى، الديوان، ص: 128.

ونجد هنا أن أنساق النص تتمحور حول البؤرة المتمثلة بقوله ووصلك يا ليلى- أراه- بعيد- حيث وصل مرسل النص إلى حالة اليأس والقنوط من وصل ليلى، ولقد ولّد ذلك اليأس ضغوطا نفسية وتأججا في العاطفة، أما المتلقي فإنه بحاجة إلى دليل يثبت ذلك اليأس وبين درجة حدته من هنا فإن النفي يقدم الدليل عبر وسائل تعبيرية لغوية.

وعلامات إشارية دالة تثبت ما يقول وتدعمه، ونقل من أقوى تلك الإشارات هي البكاء المتواصل الذي غطى معظم أبيات النص وأعطى علامات واضحة على شدة اليأس ومقدار القنوط الذي وصل إليه منشئ النص، فهو سهران باك، حليف الأسى باكي الجفون، فمستهل مدامعه، وكلها تدل على اليأس من الوصول إلى وصل ليلى، ولقد نجح نجاحاً كبيراً في عملية الربط والتلاحم بين اليأس وعملية البكاء حيث أصبحت هذه العملية دالة وواضحة وإشارة من الإشارات المركزية التي يعتمدها النص ويستند عليها في المدلول الظاهر والعميق.

وقد تأتي علامات البكاء بمدلولات عكسية وذلك حينما تستعمل وسيلة للتخفيف من طغيان الحالة المؤثرة وعلاجاً لآلامها فمثلا يسبب الفراق الألم والبكاء إشارة لذلك الألم وعلامة له وحينما يكون البكاء تخفيفا لذلك الألم فإنه لا يعد علامة له أو للفراق الذي يسببه وإنما هو علامة معكوسة تشفي المفارق المتألم وتزيل عنه الأحزان، ولتوضيح ذلك نتناول قول الفرزدق:

لَم تَرَ أَنّي يَومَ جَوَّ سُوَيقَةٍ بَكَيتُ فَنادَتني هُنَيدَةُ مالِيا

فَقُلتُ لَها إِنَّ البُكاءَ لَراحَةٌ بِهِ يَشتَفي مَن ظَنَّ أَن لا تَلاقِيا[1]

[1] الفرزدق، الديوان، شرح: عمر فاروق الطباع، شركة الأرقم بن أبي الأرقم، بيروت، 1998، ص: 705.

وفي هذا النص محاولة لإظهار سبب البكاء ودوره في الشفاء من آلام الفراق إذ أن الفراق يسبب الألم، والألم يسبب البكاء والبكاء يسبب الشفاء وهذا ما يجعل البكاء علامة دالة على الشفاء وليس على ألم الفراق كالذي لاحظناه في النصوص السابقة.

الفصل الثالث:

الثنائيات التقابلية

1. الثنائيات الضدية
2. التفاؤل والتشاؤم
3. الحياة والموت
4. الحزن والفرح

1- الثنائيّات الضدّية:

تعتبر الثنائيّات الضدّية ظاهرة من الظواهر الطبيعّية التي تلعب دورا هاما في حياة الإنسان، كونها تساعده على التعبير عن رؤيته للعلاقات القائمة بين الموجودات، ولعّل هذا ما يثير فضولنا لمعرفة كنهها و مفهومها.

أ- مفهوم الثنائيّات:

«الثنائيّ من الأشياء: ما كان ذا شقين، والحكم الثنائي: ما اشترك فيه فريقان والمعاهدة الثنائيّة: ما كانت بين أمتين.»[1] أي أنّ الثنائي هو اشتراك أمرين أو تواجدهما معا وبمعنى آخر تزاوج أمرين فيصحّ قول ثنائي أو زوج.

يقول جميل صليبا حول مفهوم الثنائيّة: «الثنائيّة وهو مشتق من Duo ومعناه: اثنان، وهو الثنائي من الأشياء ما كان ذا شقين، والثنائيّة هي القول بزوجية المبادئ المفسّرة للكـــون، كثنائيّة الأضداد وتعاقبها أو ثنائيّة الواحد والمادة (من جهة ما هي مبدأ لعدم التعين) أو ثنائيّة الواحد وغير المتناهي عند الفيثاغورثيين، أو ثنائيّة عالم المثل وعالم المحسوسات عند أفلاطون...إلخ[2].

[1] مجمع اللّغة العربّية، المعجم الوسيط، ص: 101.

[2] جميل صليبا، المعجم الفلسفي، دار الكتاب اللّبناني، بيروت، لبنان، ج1، 1982م، ص: 379، 380.

وجاء كذلك «الثنائيّة مرادفة للإثنينية، وهي كون الطبيعة ذات مبدأين و يقابلها كون الطبيعة ذات مبدأ واحد، أو عّدة مبادئ (الثنوّية و الاثنينّية)».[1]

وفي ما يتعلّق بمفهوم الشامل للفظة الثنائيّة فقد ورد أنّه يعني «ضعف العدد واحد، وقد يكون هذا الضّعف شبيهه، أو نظيره، أو ضدّه، ويعني هذا الأمر أنّ العدد واحد يشّكل مع واحد آخر ثنائيّة مهما كانت العلاقة بينهما، وفي هذه الحالة يلازم كلّ طرف من طرفي الثنائيّة الآخر، ولا ينفك منه، وإذا كان قابلا للانفكاك عنه انتفت عنه صفة الثنائيّةٍ»[2] وهذا يدلّ على أنّ الثنائيّة تتطلب وتستدعي وجود طرفين باختلاف علاقتهما أو اتفاقها، وإن لم يتواجد ذلك الطرف الآخر يفقد هذا اللّفظ سمته.

ب- الضّد والتّضاد:

«(ضاده) خالفه وكان له ضدّا وبين الشيئين: جعل أحدهما ضدّ الآخر. (تضاد) الأمران: كان أحدهما ضدّ الآخر. (الضّد): المخالف والمنافي. والمثل والنظير والكفء، (ج) أضداد، ويقال: هذا اللّفظ من الأضداد: من المفردات الدّالة على معنيين متباينين، كالجون الأسود والأبيض، الضديد الضدّ، (ج) أضداد، (المتضادّان): (في المنطق): اللّذان لا يجتمعان، وقد يرتفعان كالأبيض و الأسود».[3]

---

[1] جميل صليبا، المعجم الفلسفي، ص: 380.

[2] سمر الدّيوب، الثنائيات الضدّية بحث في المصطلح ودلالته، المركز الإسلامي للدّراسات الإستراتيجية، ط1، حمص، سوريا، 2017م، ص: 15.

[3] مجمع اللّغة العربيّة، المعجم الوسيط، ص: 536.

وبالنسبة للمعجم المفصّل فنجد فيه مفهومين للتّضاد، أوّلهما: «هو اللّفظ المشترك يقع على شيئين ضدّين، وعلى مختلفين غير ضدّين، فما يقع على الضدّين كالجون، للأسود والأبيض، والجلل، للعظيم والحقير، وما يقع على مختلفين غير ضدّين كالعين، ومن ذلك القشيب، تطلق على الجديد وعلى الخلق. فهو نوع من المشترك اللّفظي؛ فكلّ تضادٍ مشترك لفظي وليس العكس»[1]، أما التّضاد في المفهوم الثاني فجاء أنّه: «يُطلق على المعنى الأصلي، والذي استخدم ضدّ معناه على التفاؤل فقالوا للملدوغ سليما، وللأعمى بصيرا وللضائع في المفازة فائزا، ودعوا القافلة على التفاؤل بعودتها، وقالوا للعطشان ريّانا، كما استعملوا التّضاد على التهكّم؛ فأسموا الأحمق ذكيّا، والغبي فهيمًا، والمعتوه حصيفا»[2].

وجاء في قاموس مصطلحات التحليل السميائي أنّ التّضاد يستعمل« للدّلالة على علاقة التضمن المتبادلة والموجودة بين عنصري المحور الدّلالي، ينشأ التضاد عندما يتضمن حضور عنصر حضور عنصر آخر والعكس صحيح، وعندما يتضمن غياب عنصر غياب عنصر آخر»[3]. أي لا يبعد كثير عن المفهوم المتعلّق بالثنائيّة فالتضاد يجب أن يحمل عنصرين لكي يتواجد، «فيفهم من التضاد العلاقة المشكلّة للمقولة الدّلاليّة: لا يمكن أن يكون عنصرا المحور الدّلالي متضادّين إلاّ إذا

[1] محمد التونجي، المعجم المفصّل في الأدب، دار الكتب العلمية، ط2، بيروت، لبنان، 1999م، ص: 260.
[2] المصدر نفسه، ص: 261.
[3] رشيد بن مالك ، قاموس مصطلحات التحليل السميائي للنصوص، دار الحكمة، د ط، تلمسان، الجزائر، 2000م، ص: 45.

كان العنصر النقيض لكلا العنصرين متضمنا ما يضاد الآخر، و يطلق على المحور الدّلالي مصطلح: محور التّضاد»[1].

أمّا في ما يتعلّق بقانون التّضاد فقد جاء في المعجم الفلسفي أنّ «الحالتين المتضّادتين إذا تتالتا أو اجتمعتا معا في نفس المدرك كان شعوره بهما أتمّ و أوضح، وهذا لا يصدّق على الإحساسات والإدراكات والصور العقلية فحسب، بل لا يصدّق على جميع حالات الشعور كاللّذة والألم والتعب والراحة، فالحالات النفسّية المتضادّة يوضح بعضهما بعضا، وبضدّها تتميّز الأشياء»[2].

«والتّضاد لدى الفرابي هو التقابل بين أمرين وجودين، ويكون كلّ من الأمرين طاردا بماهيته الآخر، ناظرا إليه، آبيا الاجتماع معه وجودا، ومن أحكام التّضاد أنّه لا يقع بين أكثر من طرفين، فللشيء ضد واحد»[3]، كما أنّ التّضاد في أداء المعاني «كان من وقت مبكر عند الفلاسفة اليونانيين وتمازج مع أفكار روادها البارزين من أمثال سقراط، أفلاطون، أرسطو و هرقليطس، إذ رأى سقراط أنّ كلّ شيء له ضدّ يتولّد من ضدّه فالعدل ينشأ من الجور و اليقظة من النوم، والنوم من اليقظة، ولابدّ أن يتولّد الموت من الحياة والحياة من الموت، وإلاّ فقد تخالف الطبيعة قاعدتها المضطردة في جميع الأشياء»[4].

---

[1] رشيد بن مالك ، قاموس مصطلحات التحليل السميائي للنصوص، ص: 46.

[2] جميل صليبا، المعجم الفلسفي، ص: 285.

[3] سمر الدّيوب، الثنائيّات الضّدّية بحث في المصطلح و دلالته، ص: 87.

[4] علي كاظم محمد علي المصلاوي، رازقية كاظم عبد الجبوري، فاعلية الثنائيّات الضّدّية في التشكيل الموضوعي في رثاء المدن الأندلسية، مجلّة جامعة كربلاء العلمية، المجلّد الثالث عشر، العدد الثاني، 2015م، ص: 113.

إنّ من بين الثنائيّات التي ارتبطت بحياة الإنسان وبشكل كبير هي ثنائيّة "الحياة والموت" و"الذكر والأنثى" وكذلك "النور والظلام" وهذا يظهر كذلك في القرآن الكريم الذي لا يوجد أمر متعلّق بالإنسان إلاّ وذكره الله عزّ و جلّ، و لقد وردت هذه ثنائيّات في عدّة مواضع في القرآن وفي كلّ موضع معنى مختلف، يقول الله تعالى:﴿ الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ﴾[1].

وقال عزّ وجلّ أيضا: ﴿وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ﴾[2]، وهنا يظهر أنّ الحياة والموت ثنائيّة تصاحب الإنسان ولا تفارقه، فالحياة حق والموت حق وهذا ما يسّمى بالثنائيّة الضدّيّة.

أمّا في الثقافة العربية فقد تواجدت كذلك الثنائيّات الضّدّية وقد كان الجاحظ «من الأوائل الذين التفتوا إلى قانون الثنائيّة الضّدّية على أنّه قانون للحياة الجوهري، إذ يرى أنّ العالم بما فيه من الأجسام على ثلاثة أنحاء: متفق ومختلف ومتضاد، ثم يرد هذه المستويات الثلاثة التي تجسد حيوية القانون إلى الأصل الثنائي الإشكالي ممحورا إيّاه حول الحركة والسكون، يقول: (تلك الأنحاء الثلاثة كلّها في جملة القول جماد و نام، و كأنّ حقيقة القول في الأجسام من هذه القسمة أن يقال: نام و غير نام)»[3].

[1] سورة الملك، الآية: 02.

[2] سورة آل عمران، الآية: 27.

[3] سمر الدّيوب، الثنائيّات الضّدّية دراسات في الشعر العربي القديم، ص: 06.

ومن كلّ هذا نلاحظ أنّ الثنائيّات الضّدّية من أساسيات الحياة، ترتبط بالإنسان بكلّ ومن كلّ جوانب حياته، فحين يتحدّث عن الشرّ يتذكر الخير، وحين يتذكّر الدنيا يجد أنّ هناك الآخرة وغيرها من الأمور التي تمثل وتلعب دورا مهمّا في حياتنا، ولأنّ الخطاب الشعري هو رسالة يعبّر فيها الشاعر عن همومه وعن واقع الإنسان نجده يستخدم الثنائيات الضّدّية بوصفها تساعد على التأثير والإغراء فالثنائيّات الضّدّية «تشكّل مكوّنا مهما من مكوّنات الخطاب الشعري، وبنية مركزية فاعلة تنكشف عبر وظيفيتها أنماط الأنساق المتضادّة داخل الخطاب، إذ تتحد الضّدّيات عند الشاعر لخلق تصورات معينة تجاه الحياة و الكون»[1].

إنّ الثنائيات الضّدّية تساعد وبشكل كبير على التأثير بالمتلقي «فمن وسائل الإقناع الحجة العقلية القائمة على الاستدلال والمقارنة بين المتناقضين لتبيين المفارقة الشاسعة بينهما فتعمل النفس على الاتصاف بالإيجابي الحسن والنفور من السلبي القبيح، أو على الأقل تظهر هذه المقارنة ميزة الشيئين، فالجدل والحجاج والبرهان كلّها تحتاج إلى التضاد، وإلى الربط والمقارنة بين المتناقضين. فالربط بين الأشياء المتنافرة يثير العواطف الأخلاقية والمعاني الفكرية في المتلقي، لأن هذا الأخير يلمس هذه المفارقة وهذا التنافر ويعيشهما. هذه الإثارة تؤدي إلى التأثير والإقناع وتحقيق الغاية المرجوة. ومن ثم فالتضاد يستغل أكثر ما يستغل في السياقات الهادفة إلى تعرية الحقائق و كشفها، والإبانة عن حسنات ومساوئ، وذلك لبعد الهوة بين النقيضين و الشيء يعرف

[1] يوسف عليمات، جماليات التحليل الثقافي الشعر الجاهلي نموذجا، المؤسسة العربية للدّراسات والنشر، ط1، الأردن، 2004، ص: 229.

بضدّه»[1].

والثنائيّات الضديّة بدورها المساعد على الإقناع والتأثير يضفي على الخطاب جمالية تزيده جمالا «تولّد فضاء مائزا لنص، إذ تجتمع جملة علاقات زمانية ومكانية، وفعلية بأزمنة مختلفة، فتلتقي هذه العلاقات على أكثر من محور، تلتقي وتتصادم وتتقاطع وتتوازي، فتغني النّص، وتعدّد إمكانيات الدّلالة فيه، فالتّضاد العقلي والاسمي يشكّل عالما من جدل الواقع والذات في صراعها مع الحياة، ووفرة الثنائيات في النّص الأدبي دليل انسجام إيقاعاته وانفتاحه على أكثر من محور، فيمكن أن نعثر على مجموعة أنساق متضادّة في النص الأدبي الواحد تضفي عليه مزيدا من الحيوية والحركة، هذه الأنساق المتضادّة ذات صلة بالكون الذي تصوره سواء أكان ذلك الأمر بالتّضاد أم بالتّكامل، لذا تجتمع فيها الخصائص الجمالية»[2].

والتضاد عنصر هام وأساس في تحقيق فاعلية وشعرية النص الأدبي، فهو مخالفة «والمخالفة تغدو فاعلية أساسية يتلقاها القارئ عبر كسر السياق والخروج عليه وفي كسر السياق والخروج عليه دعوة إلى التأمل. يقول الزركشي أعلم أن في تقابل المعاني بابا عظيما يحتاج إلى فضل تأمل فالعلاقة بين المتناقضين علاقة مقلقة وليست مريحة، وهو أمر يؤثر في القارئ أو السامع فينفعل به»[3].

---

[1] علي زيتونة مسعود، الثنائيات الضّدّية في لغة النص الأدبي بين التوظيف الفني والذوق الجمالي، جامعة الوادي، الجزائر، دت، ص: 161.

[2] سمر الديوب، الثنائيّات الضّدّية دراسات في الشعر العربي القديم، ص: 07.

[3] علي زيتونة مسعود، الثنائيات الضدّية في لغة النص الأدبي بين التوظيف الفني و الذوق الجمالي، ص: 163.

ومن المهم معرفة أنّ هذه التقنية لم تكن فقط عند العرب القدامى وشعرائهم، بل انتشرت عند الشاعر المعاصر، فاتخذها الشعراء المعاصرين تقنية جديدة للتعبير عن ظروف الحياة المختلفة «هذه الظاهرة من أهم المرتكزات التي تنهض عليها القصيدة عموماً والقصيدة المعاصرة على وجه الخصوص، فهي التي تجعل من الكلمات والصور حوافز تحمل كلمات وصوراً أخرى على البروز أو التوالد والتفجير ولعلّ الذي دفع الشاعر المعاصر إلى البحث عن تقنيات أكثر تعقيداً من أساليب الشاعر القديم، هو ما وصلت إليه الحياة من تعقيدات جعلتها بعيدة كلّ البعد عن البساطة والعفوية اللتين كانتا سائدتين قديمًا، ومن هنا كان لزاماً على الشاعر المعاصر أن يبحث لنفسه عن تقنيات تتناسب والتغير الذي أصاب الحياة فوجد الشاعر في الثنائيات الضدّية ما يساعده على خلق صور فيها هذا المعادل المعنوي للتركيب الذي أصاب الحياة، فركّز الشاعر المعاصر على العناصر الشعورية والنفسية ليعبّر عن الصراع والاضطراب الذي يغزو المجتمع المعاصر مجسّماً بصورة حية فكرتي العدم والوجود الفناء والبقاء، مستغلا بذلك مظاهر التناقض في الحياة والكون في تشخيص هذا التّوتر»[1].

[1] نزار قبيلات، علي الشروش، الثنائيات دراسات في شعر محمود درويش، العلوم الإنسانية والاجتماعية، المجلّد 38، العدد 3، 2011م، ص: 85.

2- التفاؤل و التشاؤم

إنّ الحزن والفرح، النجاح والإخفاق كلّها أمور تحدث في حياة الإنسان والتي تسبّب له نوعا من التذبذب في المشاعر، ومن الأمور التي تلعب دورا كبيرا وهاما في حياته نجد الثنائيّة الضديّة "التفاؤل والتشاؤم" وهما مصطلحان لا يكادان ينفصلان، بحيث يتأثّر بهما سلوك الفرد ويؤثّران على علاقاته الاجتماعيّة وصحته النفسية والتي تعود بنتائجها على صحته الجسمية.

أ- مفهوم التفاؤل (Optimisme):

لا يكاد يختلف مفهوم التفاؤل من شخص لآخر، فالتفاؤل هو ذلك الإحساس بالأمل وبالراحة النفسية، فنجده: «من الفأل، وهو قول أو فعل يستبشر به، وتسهل الهمزة فيقال: الفال وتفاءل بالشيء: تيمن به، وقال "ابن السكيت": الفأل أن يكون الرجل مريضا فيسمع آخر يقول: يا سالم، أو يكون طالب ضالة فيسمع آخر يقول: يا واجد، فيقول: تفاءلت بكذا، ويتوجب له في ظنّه كما سمع أنّه يبرأ من المرض أو يجد ضالته، ويقال: لا فال: لا ضير عليك ويستعمل في الخير والشرّ، والفال ضدّ التطير، وعليك تفاءل ضدّ تشاءم»[1]، وبالنسبة للمعجم الفلسفي فقد ورد فيه مفهوم التفاؤل على أنّه «ضدّ التشاؤم والتطيّر، تقول: تفاءلت بكذا إذا أملت فائدته»[2]. فالتفاؤل هو انتظار للخير وذلك بأمل كبير في حصوله ووقوعه، وليس هذا وحسب بل هو اعتقاد أنّ كلّ ما يحدث خير وفيه مصلحة وهذا ما قد يتجلّى في المعجم المفصّل

[1] بدر الأنصاري محمد، التفاؤل والتشاؤم، المفهوم والقياس والمتعلقات، مطبوعات جامعة الكويت، د ط، الكويت، 1998م، ص: 13.

[2] جميل صليبا، المعجم الفلسفي، ص: 212.

«عكس التشاؤم، وهو استعداد الإنسان نفسيا لأن يرى كلّ شيء خيرا حوله من أشياء وأشخاص»[1]، وهذا بطبيعة الحال يجعل الإنسان في حالة مريحة بعيدا عن الاكتئاب الذي لا يجدي نفعا بل ويأخذ صاحبه إلى الهلاك و الدمار، ونطالع هذا في قول "إيليا أبو ماضي":

وَالذي نَفْسُهُ بِغَيْرِ جَمَالٍ لاَ يَرَى فِي الوُجُود شَيْئاً جَميلا[2]

وهذا كلّه يكمن في طريقة رؤية الفرد للأشياء، حيث سعادة وراحة الفرد التي يعيشها في الحاضر تعود وبشكل خاص إلى نظرته المتفائلة نحو المستقبل، وبالتالي يصبح هو المسيطر على حياته، فيكفيه إذن أن يتفاءل بأمور مفرحة لكي يعيش سعيدا في انتظار حدوث ذلك، فالتفاؤل هو «نزعة لدى الفرد لتكوين التوقع الإيجابي لأفضل النتائج في مجالات حياته المهمة وذلك قدرته على توظيف هذه النزعة في استبشاره بالأحداث السارة الخيّرة وميله إلى تبني وجهة نظر مليئة بالأمل، وشعوره بالنشاط والصحة والسعادة وبحثه عن السند الاجتماعي»[3].

وقد يتجلى هذا في قول "الطغرائي":

أُعَلِّلُ النَّفْسَ بالأَمَالِي أَرْقُبُهَا مَا أَضْيَقَ العَيْشَ لَوْلاَ فُسْحَةُ الأَمَلِ[4]

ولا يخفى عنا أنّه لا يوجد أمر متعلّق بالعبد إلاّ وتبناه القرآن الكريم والدّين الإسلامي حيث أنّ الله عزّ وجلّ يدعو إلى التفاؤل و حسن الظن به والبعد عن التطيّر والتشاؤم فقد قال

[1] محمد التونجي، المعجم المفصّل في الأدب، ص: 247.
[2] إيليا أبو ماضي المتح في www.magola.net أطلع عليه 2019/04/25.
[3] نفس المرجع، نفس الصفحة.
[4] مؤيد الدين بن إسماعيل الطغرائي، لامية العجم، شر: محمد بن موسى الدميري، دار غريب، القاهرة، ط2، 2007م، ص: 92.

الله سبحانه وتعالى: ﴿قَالُوا إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ لَئِنْ لَمْ تَنْتَهُوا لَنَرْجُمَنَّكُمْ وَلَيَمَسَّنَّكُمْ مِنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ قَالُوا طَائِرُكُمْ مَعَكُمْ أَئِنْ ذُكِّرْتُمْ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُسْرِفُونَ﴾[1]، وغيرها من الآيات التي يحثّنا الله فيها على التفاؤل وعدم اليأس، ونجد هذا في قول "المتنبي":

لاَ تَلْقَ دَهْرَكَ إِلّا غَيْرَ مُكْتَرِثًا مَادام يَصْحَبُ فِيه رُوحَكَ البَدَنُ[2]

والتفاؤل ليس فقط النظرة الإيجابية، بل وأيضا ذلك المحفّز المقوّي الذي يساعد على تخطّي العقبات، فالتفاؤل بصفة عامة ومختصرة هو ذلك الشعور الدائم بوجود شيء يستحق المثابرة والمتابعة والذي يساعد وبشكل كبير على المضي قدما، قد نلاحظ هذا في قول "المتنبي":

فَمَا يُدِيمُ سُرُورُ مَا سُرِرْتَ به ولاَ يُرُدُّ عَلَيْكَ الفَائِتُ الحَزَنُ

يدعو الشاعر إلى عدم الاكتراث إلى الحياة وما فيها، والحث على المضي قدماً وتخطي الصعوبات بالتشبث بالأمل والدعوة إلى التفاؤل.

إنّ "التفاؤل" لم يولد في الآونة الأخيرة فقط، بل تداول وانتشر على مرّ العصور، من العصر الجاهلي إلى صدر الإسلام لغاية العصر الحديث، ولأنّ كلّ هذه المراحل اتّسمت وعرفت بنظم الشعر قام الشعراء باستخدام وإبراز هذا التفاؤل في أشعارهم معبّرين عن أحزانهم وعن أملهم الكبير لغد مشرق مليء بالفرح و الغبطة. ولأنّ هذه الحالة النفسية والتي تدعى بالتفاؤل تختلف من فرد لآخر وذلك حسب كيفية إقبال كل شخص على الحياة ومدى تأثير الظروف المحيطة، نجد اختلاف واضح بين طريقة أو كيفية تفاؤل الشعراء، ولعلّى من الشعراء المتّسمين بها هم شعراء

[1] سورة يس، الآية: 18، 19.

[2] أحمد بن حسين المتنبي، الديوان، تح: أبو البقاء العبكري، دار المعرفة، بيروت، دط، دت، ص: 87.

المقاومة وشعراء المهجر أو ما يسمّى شعراء المنفى، الذين اتّخذوا التفاؤل عنصرا أساسيا في قصائدهم وهذا من أجل التحمّل والمقاومة لهم ولأوطانهم وشعبهم، ويتضح هذا في قول "محمود درويش":

في البِدَايَةِ ننتَظرُ الحظ

قدْ يَعْثُرُ المنقِذونَ عَلَينا هنا

ويمدّون حَبْلَ النَّجَاة لنا[1]

وهذا دليل على أنّ "درويش" يأمل بأن يُنقذ هو وشعبه من الحرب، ويبقى متمسّك بالأمل متفائل بالمستقبل رغم ما يعانيه هو وشعبه، والتفاؤل والتشاؤم من صفة شعراء المقاومة.

ب- مفهوم التشاؤم (pessimism) :

يقال أنّ الإنسان المتشائم هو نذير شؤم وجالب النحس على الآخرين، ولقد كثرت التعاريف من شؤم وعكس اليمن...إلخ.

ولقد جاء مفهومه في المعجم المفصّل في الأدب على أنّه «حالة نفسية سوداوية تعتري الإنسان، يرى كلّ ما حوله غير مجد و غير نافع. والمتشائم لا يعرف السعادة ولا الراحة ويظن أنّ حياته كناية عن عذاب مستمر»[2]، وهذا بمعنى أنّ الإنسان المتشائم ينظر للحياة على أساس أنّها

[1] محمود درويش، سيناريو جاهز، الديوان، لا أريد لهذه القصيدة أن تنتهي، دار الرياض الريّس للكتب والنشر، السعودية، ط1، 2009م، ص: 36.

[2] محمد التونجي، المعجم المفصّل في الأدب، ص: 247.

كلّها شرور، كما أنّه يهمل الجانب الحسن وينشغل فقط بالجانب السيئ للأشياء، ويتجلى ذلك في قول "الشابي":

مَاذَا جَنَيْتَ مِنَ الحَياةِ ومِنْ تَجَارُب الدُّهُور غَيْر النّدَامَة والأَسَى واليأس والدّمعَ الغَزِير[1]

وقد قدّم المعجم كذلك مفهوما عن تشاؤم الأدباء وعلى رأسهم أبو العلاء المعري «وقد يغلب التشاؤم على أحد الأدباء، فنراه يكتب بنظرة ضيّقة لا تعرف الانفراج النفسي، وبإمكان المطالع أن يقرأ نصا فيعرف أنّ صاحبه متشائم من كثرة الحديث عن الشّرور والشكوك وانعدام الخير، وأبو العلاء من أبرز المتشائمين العرب»[2]، حيث يقول في إحدى قصائده:

ضَجْعَةُ المَوْتِ رَقْدَة يَسْتَرِيحُ ال جِسْمُ فيها والعَيْشُ مِثْلَ السُّهَادِ[3]

حيث يشبّه الشاعر الموت بالنوم والعيش بالسّهر فيقول إنّ ضجعة الموت إنما هي رقدة يستريح بها الجسم من الحياة التي هي السهر المؤرق وهو السهاد وإن دلّ هذا يدل على تشاؤم الشاعر.

فالتشاؤم هو ذلك الاعتقاد السلبي للأمور والأحداث التي قد تحدث مستقبلا، بحيث يتوقع الفرد الأسوأ من الأمور وخيبات الأمل، ويكون ساخطا على الحياة والظروف التي يعيشها «هو الميل، يحمل صاحبه على الحزن والانقباض وخشية ظروف الحياة مهما كانت حسنة أو

[1] وادي طه، جماليات القصيدة المعاصرة، دار المعارف، القاهرة، ط3، 1994م، ص: 14.

[2] نفس المرجع. نفس الصفحة.

[3] أبو العلاء المعري، الديوان، تر، تح: أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1990م، ص: 224.

عادية»[1]، وقد يكون التشاؤم مسبّبا لتلك الكآبة التي نلمحها عند البعض وذلك الانطواء في جوّ يملؤه الحزن والشرود. وقد يكون التشاؤم أيضا نتيجة ظروف وأحداث سيّئة عاشها الفرد وتركت في داخله بصمة جعلته يهاب تكرارها فتسبّبت في تشاؤمه تاركة له نوعا من خيبة الأمل، وذلك ما ظهر في قول "مجنون ليلى":

فَإِن تَمنَعوا لَيلى وَحُســنَ حَديثِهـا فَلَم تَمنَعوا عَنّي البُكا وَالقَوافِيـــــا

يُلَوِّمُني اللوّامُ فيهـــا جَهالَـــــةً فَلَيتَ الهَوى بِاللائِمينَ مَكانِيـــا

لَوَ أَنَّ الهَوى في حُبِّ لَيلى أَطاعَني أَطَعتُ وَلَكِنَّ الهَوى قَد عَصانِيـا

فَأَشهَدُ عِنـــدَ اللَهِ أَنــي أُحِبُّــها فَهَذا لَها عِندي فَما عِندَها لِيــا[2]

تحمل هذه الأبيات قمة التوتر على الرغم من الهدوء الظاهر فيها، وهو أمر قائم على الثنائية الضدية، ولعلنا نستطيع القول: كلما كانت الثنائيات الضدية قوية كان الشعر أكثر شعرية.

إن هذه الثنائيات والصراع فيما بينها تصب في منحى واحد هو اليأس الذي وصل إليه الشاعر فقد عانى قهراً اجتماعيا واغتراباً وصراعاً انتابه حول ما يشعر به تجاه الطرف آخر، والقيود التي تمنعه، وتقف حائلاً أمامه، ورغبته الأكيدة في الامتلاك.

والشاعر متشائم مما أصابه من اليأس وخيبة الأمل وما أدركه من الإخفاق في الوصول إلى محبوبته.

[1] كمال الدسوقي، ذخيرة علم النفس، الدار الدولية لمنشر مجلة1، القاهرة، مصر، 1988م، ص: 624.

[2] المرزباني، 1985م، الموشح، تح: محب الدين الخطيب، المطبعة السلفية، القاهرة، ص: 223.

فالتشاؤم هي تلك الحالة النفسية التي تعتري الإنسان والتي تكون نتيجة اليأس وفقدان الأمل، وذلك في ظلّ الظروف التي يعيشها.

وبما أنّ النزعة التشاؤمية تتماشى غالبا مع النزعة التفاؤلية رغم تضادّهما، وإن كان التفاؤل قد عرف منذ الأزل، فالتشاؤم بدوره قد انتشر منذ عصور، ولم يسلم الأدباء والشعراء من هذه الحالة، ومن أمثلة ذلك تشاؤم أبو العلاء المعّري الذي تسّببت الظروف التي مرّ بها في حياته لحمله اسم الشاعر المتشائم، حيث اصطبغ شعره بالتشاؤم، وغيره من الشعراء المتشائمين أمثال: ابن الرومي، الخيام وكذلك عرف في العصر الحديث بالتشاؤم بدر شاكر السيّاب، صلاح عبد الصبور، نازك الملائكة وغيرهم من الشعراء والأدباء الذين امتزجت أشعارهم بصبغة تشاؤمية، وذلك نتيجة الأوضاع المحيطة بهم سواء سياسية، اجتماعيّة...إلخ.

ولأنّ الشعراء والأدباء ذو إحساس عميق وشعور مرهف، بدا وظهر ذلك في كتاباتهم، وإن كان الوضع هكذا بالنسبة للشعراء الرومانسيين، فما هو حال شعراء المقاومة إذا، فهم أكثر من عانوا الويلات فتفاءلوا حينا وتشاءموا أحيانا أخرى.

3- الحياة والموت

من بين جميع الثنائيات الموجودة على سطح الأرض، نجد ثنائية "الموت والحياة" تتصدر على أرس القائمة، وذلك لأنّها تخصّ البشرية جمعاء، وهي مرتبطة ارتباطا وثيقا بكلّ إنسان، وهذا يكون فطريا وهي النقطة الوحيدة التي يتّفق عليها الناس رغم اختلافهم في جميع النواحي. كما لا

يمكن نكران أنّ لكلّ فرد نظرته الخاصة سواء للموت أو للحياة. غير أنّهما حقيقتان لابدّ من تصديقهما، فيقول "أبو العلاء المعري" في هذا الشأن:

غَيْرَ مُجْدٍ فِي مِلَّتِي واعْتِقَادِي نُوحُ باكٍ ولاَ تَرَنُّمَ شَاد

وَشَبِيهُ صَوت النَّعْي إذا قِي سَ بِصَوْتِ البَشِير فِي كُلِّ ناد

أَبْكَت تِلْكُم الحَمَامَة أم غَ نَّت على فِرْع غُصْنِهَا المَيَّاد[1]

يبين الشاعر الفروق بين الموت والحياة ويذكر أن الحياة كالموت، والغناء كالبكاء، ثم يقول أنّ صوت الميت والبكاء عليه عند وفاته شبيه بصوت البشير الذي يبشر عند ولادته بكل الأماكن والمجالس، ويشبّه الصوتين والتشابه بينهما بصوت الحمامة عندما تنوح فوق الأغصان، فنحن لا نعلم أحزينة هي أم سعيدة.

أ- مفهوم الحياة والموت:

ورد في معجم مختار الصحاح «(الحياة) ضدّ الموت و(الحيّ) ضدّ الميت، و (المحيا) مفعل من الحياة، تقول: محياي ومماتي، و(الحيّ) واحد (أحياء) العرب، و(أحياه) الله (فحيي) و(الحي) أيضا والإدغام أكثر»[2]. كما نجد في تعريف آخر الحياة «نقيض الموت، وهي النمو، والبقاء والمنفعة، والحي من كلّ شيء نقيض الميت، والحي أيضا كلّ متكلّم ناطق وفسروا قوله تعالى: "وما

[1] أبو العلاء المعري، الديوان، ص: 278.

[2] الرازي، مختار الصحاح، مكتبة لبنان، ط1، لبنان، 1986م، ص: 69.

يستوي الأحياء ولا الأموات" بقولهم : الحيّ هو المؤمن، والميت هو الكافر»[1]، كما يصوّرها "أبو العلاء المعري" في قوله:

إنَّ حُزْناً في سَاعَة الموْت أَضْعَا فَ سُرُور في سَاعَة الميلاَد[2]

فالشاعر يوضح لنا أمرا مهما يدلّ على أنّ الحياة كلّها تعب وعناء فيقول إنّ الإنسان عند وفاته يحزن عليه النّاس حزن أضعاف ما سعدوا به عند ولادته.

والحياة من حقوق الإنسان فله كلّ الحق في الحياة ولا يستطيع كائن من كان سلبه إياه وهو ما تشترك فيه جميع الكائنات الحية، وهي «تدلّ على مجمل الأحداث الجارية التي تحدث على الأرض وتشارك بها كافة الكائنات الحية، وقد تدلّ على الفترة التي يحياها كلّ كائن حي بين ولادته –عندما يعتبر كينونة مستقلّة حيّة– إلى لحظة موته وانقطاعه عن أيّة فعالية حيّة ملحوظة»[3].

أمّا الموت فهو تلك الحقيقة الحتمية التي لا يمكن للمرء الهروب منها، ولقد ورد ذلك في القرآن الكريم وذلك قوله عزّ وجلّ: ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ﴾[4].

ولقد جاء تعريفه لغة أنّه «مصدر للفعل مات، يموت، مُت، موتا، فهو مائت وميت و ميِّت، ومات الرَّجل: زالت الحياة عنه، والموت هو زوال الحياة عن كلّ كائن حيّ»[5]، فالموت إذا

[1] جميل صليبا، المعجم الفلسفي، ص: 502، 503.
[2] أبو العلاء المعري، الديوان، ص: 156.
[3] مصطفى حسيبة، المعجم الفلسفي، دار أسامة للنشر و التوزيع، عمان، الأردن، 2009م، ص: 211.
[4] سورة آل عمران، الآية: 185.
[5] الرازي، مختار الصحاح، ص: 301.

هو غياب الحياة وزوالها ونهايتها وحين يقال جاء أجله يعني أجل نهاية حياته ويقال أيضا «الموت عدم الحياة عما من شأنه أن يكون حيّا، وقيل نهاية الحياة، وضدّ الحياة، والتقابل بينه وبين الحياة تقابل العدم والملكة»[1]، ونطالع هذا في قصيدة "علي بن أبي طالب":

النّفْسُ تبْكِي عَلى الدُّنْيَا وَقد عَلِمَت أنّ السّلامة فِيها تَرْكُ ما فِيها

لا دَارُ للمرْءِ بعْدَ الموْتِ يَسْكُنُهَا إلاَّ التي كان قَبْل الموْتِ بَانِيهَا[2]

ولأنّ هذه الثنائية لها قيمة ومكانة عالية ولا يمكن التحدّث عن الواحد منهما دون ذكر الثاني، وجدنا من المنطق أن نجمعها معا لا كلّ واحد منهما على حدة.

لقد قدّم الكثير من العلماء تعاريف و مفاهيم لهاتين المتضادتين، ومنهم علماء النفس الذين تحدّثوا عن الموت وأعطوا بذلك مفهوما مشتركا للحياة والموت، ومعناه أنّ الحياة والموت واقع يرافق الإنسان منذ ولادته، فالأولى يلمحها الإنسان ويشعر بها وهي مرئية ترى في جميع تصرّفاتنا، والثانية تتطلّب التمعن والتعمق لمعرفتها والإحساس بها، وفي نظر فرويد غاية الحياة هي الموت، أي أنّ الحياة والموت حقيقتان متعاكستان وفي الوقت عينه مترابطتان تكمّلان بعضهما البعض.

لا نتطلّع على الأدب العربي شعرا كان أم نثرا إلاّ وعثرنا في طيّاته على موضوعات تحمل مظاهر الحياة والموت، وذلك وكما سبق وذكرنا أنّهما من أكبر وأعظم الثنائيات التي ترتبط بالإنسان ارتباطا شديدا وتهمه إلى أقصى وأبعد حد.

ولعلّ من أكثر الشعراء الذين وصفوا الحياة والموت بجميع الأنماط هم شعراء المقاومة.

---

[1] جميل صليبا، المعجم الفلسفي، ص: 440.

[2] علي بن أبي طالب، المتاح في tayebshanhoory.3abber.com أطلع عليه 2019/05/25.

تعدّ قضية "الحياة والموت" قضية محورية تتردّد في أعمال الأدباء باستمرار، وذلك لتعلّق هذه الثنائية بالوجود الإنساني، وهذا ما نراه في القصيدة التالية:

تَذَكّرْتُ من يَبْكي عليّ ، فلمْ أَجِـدْ ... سِوَى السَيْفِ والرّمحِ الرُّدَينيِّ باكـــيا

وَأَشْقَـــرَ خِنْذِيذٍ يَجُـــرّ عِنَانَـــهُ ... إلى الماء، لم يتْرُكْ لَهُ الدهْرُ ساقـــيا

ولَكِـــنْ بِأَطْـــرَافِ السُّمَيْنَة نِسْـــوَةٌ ... عَزيزٌ عَلَيْهِـــنّ العشيّةَ ما بيـــــا

فيا صاحبَي رحلي! دنا الموْتُ، فَانزلا ... بِرابِيَةٍ ، إنّـــي مُقِيـــمٌ لَيالـــيا

وَقُوما ، إذا ما استُلّ روحي ، فهيِّـئا ... ليَ القبرَ والأكفانَ، ثُمّ ابكيا لـــيا

خُذَاني ، فجُرّاني بِبُرديْ إليكمـــا ... فقد كُنْتُ ، قبل اليوم ، صَعباً قِياديا

فقد كنتُ عطّافاً، إذا الخيلُ أدْبَـرَتْ ... سَريعاً لدى الهَيْجا، إلى مَن دعانِـيا

ولا تَنْسَيا عَهْدي ، خَليليّ ، إنّـــني ... تقطّع وصالي وَتَبْلى عِظامِـــــيَا[1]

يجسد الشاعر هنا تقابلا بين الحاضر والماضي والضعف والقوة وهو يجود بأنفاسه الأخيرة، ولقد شخص في البيت الأول الفرس والسيف والرمح أبرز صورة الإنسان يشعر ويتألم لمصير صاحبه وأقام علاقة قوية بينه وبين السيف والرمح والفرس، فأراد الشاعر أن يبحث عن كينونته وحبه للحياة فعاد للماضي، لأنه يرفض الموت فتحدث عن فضائله وخصاله في الحرب وتلبية نداء القتال وهذا يكشف عن مفارقة بين زمنين، ويمضي الشاعر للاستسلام للموت، وما يعكس ظهور هذا التّضاد في هذه الأبيات هو الصراع بين الحياة والموت وانتقال الشاعر من حال إلى حال.

[1] الملوحي عبد المهين، أشعار اللصوص وأخبارهم، دار الحضارة الجديدة، بيروت، ط2، 1993م، ص: 106.

4- ثنائية الحزن والفرح

إنّ الحزن في اللغة والاصطلاح بكلّ مشتقاته يدور حول التوجّع والتأسّف إمّا على أمر ماض أو على أمر مستقبل لم يتمكن المرء من الوصول إليه أو تحقيقه، فيجد الإنسان نفسه ضعيفا أمام هذه الحالة التي وصلت إلى الانسداد والتأسّف والتحسّر على ما آل إليه فيرجع إلى البكاء ليخفف عن نفسه المتعبة، فالبكاء هو راحة وشفاء للنفس الإنسانية.

أمّا الفرح والسّعادة هو أمر يشغل بال النّاس، فهم يسعون دائماً إلى تحقيقه لأنّ من يعيش سعيداً في الحياة يعيش مرتاح البال لا يعتريه همّ ولا ألم، وهو عكس الحزن ولا ينحصر الفرح في شيء معيّن، فهو متعدّد المجالات فقد يكون في حبّ شخص أو الحصول على مال أو نيل جائزة أو الوصول إلى هدف معين.

وقد يختلف الشعراء في إحساسهم بالكون و بأنفسهم وما حولها اختلافاً مبعثه العمق والحدّة في الإدراك والنفوذ إلى بواطنهم وبواطن ما يصوّرونه، ونرى الشعراء تارة يفيض شعرهم باللذة والفرح وتارة يفيض بالحزن والألم العميق.

نرى في الأدب العربي شعراء لمن نشدوا أشعارا لبيان ما في حياتهم من الألم والشعور بالحرمان طوال عصور مختلفة، كما نلاحظ هذا عند "امرئ القيس" في المجتمع الجاهلي يقول ع همومه:

وَلَيْلٍ كمَوْج البَحْر أَرْخَى سُدُولَه عَلَيَّ بأنْوَاع الهُمُوم لِيَبْتَلـــــــي

فَقُلْتُ له لما تَمطّى بِصَلْبِـــــــه وأَرْدَفَ إِعْجَازاً وناءَ بكَلْكَـــــل

ألاَ أيُّها اللّيل الطَّوِيلُ ألا انْجَلـي بِصُبْح وما الإِصْبَاحُ مِنْك بأَمْثَل[1]

يرى الشاعر أنّ همومه وأحزانه لن ترحل سواء انجلى الليل أو بقى، يظهر ذلك في ألفاظه المشحونة والدالة على الأحزان التي وردت في الألفاظ التي استعملها مثل: أرخى سدوله، أنواع الهموم، الليل الطويل، ناء بكلكل.

كما نرى في العصر الأموي دموع المحبين العذريين أمثال "مجنون ليلى" حيث يقول:

لَمْ تَزَل مُقْلَتِي تَفيضُ بِدَمْعٍ يَشْبَهُ الغَيثَ بعد أَن فَقَدْتَهَا

مُقْلَة دَمْعَهَا حَفِيفَة وأُخْرَى كُلّمَا جفّ دَمْعَها استَعدْتَهَا

مَا جَرَت هَذِه على خدِّ حَتّى لَحَقتْ تلكَ بالتِي سَبَقَتْها[2]

الشاعر يبث شكواه إلى من يحب ويصف حالته الاستمرارية في الحزن والألم والبكاء لعلّه يخفّف من آلامه.

ويقول النابغة "الجعدي":

عَهِدتُ بِها الحَيَّ الجَميعَ كَأَنَّهُـم عِظامُ المُلُوكِ عِزَّةً وَتَبَاهِيـــا

وَفِتيان صِدقٍ غيرُ وَخشٍ أُشابَــةٍ مَكاسِيبُ لِلمالِ الطَرِيفِ مَعاطيا

إِذا ظَعَنُوا يَومًا سَمِعتَ خِلالَـــهُ غِناءً وَتَأْبِيهًا وَنَقرًا وَحادِيـــا

تَوالِيَ مَن غالَت شَعُوبٌ فَأَصبَحَتْ كُلُولُهُمُ تَبكي وَتُبكي البَواكِيـا[3]

[1] امرؤ القيس، الديوان، ص: 50.
[2] قيس بن الملوح مجنون ليلى، الديوان، ص: 147.
[3] الجعدي النابغة، الديوان، ص: 58.

يطغى جو الحزن على الأبيات التي يستعيد فيها الأيام الماضية، ولاسيما في البيت الأخير، إذ ينتقي مفردات ذات دلالة مرتبطة بالموت: شعوب، تبكي، غالت، وهنا يتحول النابغة من جو الفرح إلى جو الحزن من خلال عودته إلى الوراء، وتلاعب بارع بالزمن. تأججت أشواق الشاعر بالعودة إلى الماضي فيعود إلى الوراء فتتحول الدار إلى مكان يجمع بين الماضي والحاضر ويشكف عن أزدوجية الحياة بصخبها والموت بسكوته فيرحل بأشواقه من الحاضر إلى الماضي وبالتالي من الحزن إلى الفرح. فالشاعر انتقل بنا من حال حزن إلى حال فرح فنجد أنفسنا أمام بناء شعري في منتهى التنظيم تتوالى فيه الثنائيات الضدّية عبر مستويات زمنية مختلفة.

وفي العصر الحديث نقرأ شعر "حافظ" في البؤس والشقاء وأحزان "بدر شاكر السياب" كما نجد "أبا القاسم الشابي" يشدو أغاني مشجية، وتحيطه الكآبة من كل صوب:

مَاذَا جَنَيْتَ مِنَ الحَياةِ ومِنْ تَجَارُب الدُّهُور غَيْر النّدَامَة والأَسَى واليأس والدّمعَ الغَزِير

لا طالما تغنى الشعراء بالأمل والتفاؤل فهما كالبلسم للقلب المجروح يبثان عزيمة وإرادة للاستمرارية في هذه الحياة، ولقد أبدع الشعراء حقا في اختيار أروع الكلمات للتعبير عن آمالهم وآلامهم، ومنذ أن وجد الإنسان وهو يعاني أزمة الحياة ويدرك ما فيها من خير وشر وسرور وحزن، شعور الإنسان بالألم والحزن والسرور والفرح ظل رفيقه في الحياة، وهذه غريزة أودعها الله في النفس البشرية.

إذن بالأضداد تعرف الأشياء، وهذا ما ظهر جليا في هذه القصائد حيث احتوت على جملة من الثنائيّات الضدّية التي ساعدت على اكتشاف خبايا ومعاني القصيدة وهي: ثنائية التفاؤل

والتشاؤم والحياة والموت والحزن والفرح، وكلّها ارتبطت بشكل واضح مع بعضها وحملت دلالات جعلتنا نقترب إلى المعنى المراد إيصاله.

خاتمة

الخاتمـة:

حظيت ظاهرة البكاء في الشعر العربي بأفق مهم عند الناس ولاسيما الشعراء، فهو ظاهرة تستحق الدرس والتمحيص والتحليل، وهذا لما زخرت به مدونة الشعر العربي ولما جاءت به قرائح الشعراء حول هذه الظاهرة، فمنهم من رأى فيه ضعف ومنهم من رأى فيه عيب ومنهم من رأى فيه تفريج وراحة للنفس المتعبة.

ولعل هذا ما جعلنا نخلص في الأخير إلى نتائج أهمها:

اختلاف المفهوم في:

أ-المعاجم: يمد ويقصر، وهو الحزن والصوت الذي يصاحبه لدافع ما أو سبب يعتري النفس البشرية.

ب-القرآن: هو آية من آيات الله عز وجل وضعها في النفس الإنسانية.

ج-السنة: البكاء يشفع لصاحبه يوم القيامة إذا كان غرضه ومبعثه وصدقه التقرب إلى الله.

د-الصوفية: هو صلاة الروح والتذلل إلى الله بغية نيل مرتبة رفيعة في الآخرة.

هـ-علم النفس: هو نوع من التفريغ والتفريج النفسي الذي يريح الأعصاب ويخفف عن النفس المتعبة، وهو لغة عالمية لا تختلف باختلاف الألسن أو الثقافات أو البيئات.

-تنوع دلالاته: من الخشوع، خوف، طمع، محبة، رجاء، سرور، نفاق،...

-البكاء ينوب عن اللغة في الحالات التي يصعب ترجمتها.

-هنالك علاقة بين بكاء الأطلال وبكاء الرثاء وبكاء الغزل من حيث أنها تكشف عن زمانين زمن ولّى وزمن حاضر كل ما فيه يدعو إلى البكاء.

-اختلاف الثنائيات التقابلية منها ثنائية التفاؤل والتشاؤم حيث التفاؤل يجسد الغياب الحضوري للتشاؤم.

ولا ندعي لأنفسنا أننا أحطنا بكل حيثيات البحث ولهذا يبقى باب البحث في هذا الموضوع مفتوحاً على مصراعيه.

وفي الأخير نسأل الله التوفيق والسداد، وجزى الله كل من أعاننا خاصة الأستاذ الكريم.

فهرس الآيات القرآنية

فهرس الآيات القرآنية:

السورة	الآيـــــة	رقمها	الصفحة
آل عمران	﴿وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ﴾	27	46
	﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ﴾	185	59
التوبة	﴿فَرِحَ الْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلاَفَ رَسُولِ اللّهِ وَكَرِهُواْ أَن يُجَاهِدُواْ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَقَالُواْ لاَ تَنفِرُواْ فِي الْحَرِّ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَّوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ، فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا كَثِيرًا جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾	82-81	17
	﴿ لَيْسَ عَلَى الضُّعَفَاءِ وَلَا عَلَى الْمَرْضَىٰ وَلَا عَلَى الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا لِلَّهِ وَرَسُولِهِ مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِن سَبِيلٍ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ وَلَا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَا أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوا وَّأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا مَا يُنفِقُونَ﴾	92-91	13
يوسف	﴿ وَجَاءُوا أَبَاهُمْ عِشَاءً يَبْكُونَ﴾	16	12
	﴿بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ﴾	18	13
الإسراء	﴿ قُلْ آمِنُواْ بِهِ أَوْ لاَ تُؤْمِنُواْ إِنَّ الَّذِينَ أُوتُواْ الْعِلْمَ مِن قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلأذْقَانِ سُجَّدًا وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبِّنَآ إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولاً وَيَخِرُّونَ للأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا﴾	109-107	14
مريم	﴿إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَٰنِ خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا﴾	58	14

طه	﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى﴾	124	16
يس	﴿قَالُوا إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ لَئِنْ لَمْ تَنْتَهُوا لَنَرْجُمَنَّكُمْ وَلَيَمَسَّنَّكُمْ مِنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ قَالُوا طَائِرُكُمْ مَعَكُمْ أَئِنْ ذُكِّرْتُمْ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُسْرِفُونَ﴾	19-18	58
الدخان	﴿فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنْظَرِينَ﴾	29	16
النجم	﴿ وَأَنَّهُ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَى﴾ ﴿أَفَمِنْ هَذَا الْحَدِيثِ تَعْجَبُونَ وَتَضْحَكُونَ وَلَا تَبْكُونَ وَأَنتُمْ سَامِدُونَ﴾	43 60	16 15
الملك	﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ﴾ ﴿ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾	02 14	46 02

قائمة المصادر
والمراجع

-القرآن الكريم

-المصادر والمراجع:

1. أحمد أبي العباس، شرح ديوان زهير بن أبي سلمى، دار الكتب، القاهرة، 1950.

2. أحمد بن حسين المتنبي، الديوان، تح: أبو البقاء العبكري، دار المعرفة، بيروت، دط، دت.

3. امرئ القيس، الديوان، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، مصر، 1964.

4. أوس بن حجر، الديوان، تح: محمد يوسف نجم، دار بيروت، لبنان، ط1، 1960م.

5. بدر الأنصاري محمد، التفاؤل والتشاؤم، المفهوم والقياس والمتعلقات، مطبوعات جامعة الكويت، د ط، الكويت، 1998م.

6. برنار توسان، ما هي السيميولوجيا، تر: محمد نظيف، إفريقيا الشرق، المغرب، ط2، 2000.

7. جبران مسعود، معجم الرائد، دار العلم للملايين، لبنان، ط7، 1992م.

8. الجعدي النابغة، الديوان، تح: عبد العزيز رباح، دمشق، منشورات المكتبة الإسلامية، دمشق، ط1، 1964.

9. جميل صليبا، المعجم الفلسفي، دار الكتاب اللّبناني، بيروت، لبنان، ج1، 1982م.

10. حسن بن هانئ الحكمي أبي نواس، الديوان، تح: بهجت عبد الغفور الحديثي، دار الكتب الوطنية، أبو ظبي، ط1، 2010.

11. ابن حسين أحمد بن فارس، معجم مقاييس اللغة، دار الجيل، بيروت، ط1.

12. الحطيئة، الديوان، تح: نعمان أمين طه، القاهرة، ط1، 1957.

13. الخليل بن أحمد الفراهيدي، كتاب العين، دار الكتب العلمية، بيروت، ج1، 2003م.

14. الخنساء، الديوان، شرح: حمدو طماس، دار المعرفة، لبنان، دط، 2012م.

15. الرازي، مختار الصحاح، مكتبة لبنان، ط1، لبنان، 1986م.

16. رشيد بن مالك ، قاموس مصطلحات التحليل السميائي للنصوص، دار الحكمة، دط، تلمسان، الجزائر، 2000م.

17. زكي مبارك، التصوف الإسلامي في الأدب والأخلاق، دار الكتب والوثائق القومية، 2009م.

18. سليمان بن الأشعب الأزدي أبو داود، سنن أبي داود، دار الرسالة العالمية، بيروت، ط1، 2009م.

19. سمر الدّيوب، الثنائيات الضدّية بحث في المصطلح ودلالته، المركز الإسلامي للدّراسات الإستراتيجية، ط1، حمص، سوريا، 2017م.

20. السموأل بن عادياء، الديوان، تح: واضح الصمد، دار الجيل، بيروت، ط1، 1996م.

21. شريف الرضي، تلخيص البيان في مجازات القرآن، دار الأضواء، بيروت، ج1.

22. شوقي ضيف، العصر الجاهلي، دار المعارف، مصر، ط10، 1982.

23. صالح بن عبد الله بن حميد، نظرة النعيم، دار الوسيلة للنشر والتوزيع، جدة، ط4.

24. الطيب المتنبي، الديوان، تح: عبد الرحمان البرقوقي، دار الكتاب العربي، بيروت، 1980.

25. عادل البياتي، دراسات في الأدب الجاهلي، المغرب، الدار البيضاء، 1986.

26. عبد الرؤوف المناوي، التوقيف على مهمات التعاريف، تح: بن علي بن زين العابدين، عالم الكتب، 38 عبد الخالق ثروت، القاهرة، ط1، 1990م.

27. عبد العزيز القوصي، أسس الصحة النفسية، مكتبة النهضة المصرية، مصر، ط4، 1952م.

28. عبد القاهر الجرجاني، الطرائف الأدبية، تح: عبد العزيز الميمني، دار الكتب العلمية، بيروت، ط2، 1937م.

29. عبد اللطيف شرارة، تغلب على التشاؤم، دار بيروت للطباعة، بيروت، 1987.

30. عبد المنعم الحفني، الموسوعة الصوفية، مكتبة مدبولي، القاهرة، ط1، 2003.

31. أبو العلاء المعري، الديوان، تر، تح: أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1990م.

32. علقمة الفحل، الديوان، تح: لطفي الصقال، ودرية الخطيب، دار الكتاب العربي، سوريا، ط1، 1969م.

33. علي زيتونة مسعود، الثنائيات الضّدّية في لغة النص الأدبي بين التوظيف الفني والذوق الجمالي، جامعة الوادي، الجزائر، دت.

34. علي كاظم محمد علي المصلاوي، رازقية كاظم عبد الجبوري، فاعلية الثنائيّات الضّدّية في التشكيل الموضوعي في رثاء المدن الأندلسية، مجلّة جامعة كربلاء العلمية، المجلّد الثالث عشر، العدد الثاني، 2015م.

35. عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير، تفسير القرآن الكريم، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، ج4، 1419هـ.

36. الفرزدق، الديوان، شرح: عمر فاروق الطباع، شركة الأرقم بن أبي الأرقم، بيروت، 1998.

37. قتيبة الدينوري، الشعر والشعراء، تحقيق مفيد قميحة ونعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت، ط2، 1985. ابن

38. قيس بن الملوح مجنون ليلى، الديوان، تح: عبد الرحمان المصطاوي، دار المعرفة، بيروت، ط3، 2007.

39. كريم حسن إلامي، الأمل واليأس في الشعر الجاهلي، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ط1، 2008.

40. كمال الدسوقي، ذخيرة علم النفس، الدار الدولية لمنشر مجلة1، القاهرة، مصر، 1988م.

41. لبيد بن ربيعة العامري، الديوان، تح: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ط1، 1993م.

42. لجنة من أدباء الأقطار العربية، الغزل، دار المعارف، مصر، 1924.

43. مجدي حسين كامل، أحلى قصائد الصوفية، دار الكتاب العربي، لبنان، ط1، 1997م.

44. مجمع اللغة العربية، معجم الوسيط، مكتبة الشروق الدولية، مصر، ط1، 1960م، مادة بكا.

45. محمد التونجي، المعجم المفصّل في الأدب، دار الكتب العلمية، ط2، بيروت، لبنان، 1999م.

46. محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري، كتاب الجمعة، باب الخطبة على المنبر.

47. محمد بن جرير الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، مؤسسة الرسالة، بلاد فارس، 270هـ.

48. محمد بن مكرم ابن منظور ، لسان العرب، دار صادر، بيروت، 1410هـ، مادة بكا.

49. محمد بن يعقوب الفيروز أبادي، القاموس المحيط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط8، 2005م.

50. محمد صادق حسن، خصوبة القصيدة الجاهلية، دار الفكر، بيروت.

51. محمود درويش، سيناريو جاهز، الديوان، لا أريد لهذه القصيدة أن تنتهي، دار الرياض الريّس للكتب والنشر، السعودية، ط1، 2009م.

52. المرزباني، 1985م، الموشح، تح: محب الدين الخطيب، المطبعة السلفية، القاهرة.

53. مصطفى حسيبة، المعجم الفلسفي، دار أسامة للنشر و التوزيع، عمان، الأردن، 2009م.

54. الملوحي عبد المهين، أشعار اللصوص وأخبارهم، دار الحضارة الجديدة، بيروت، ط2، 1993م.

55. مؤيد الدين بن إسماعيل الطغرائي، لامية العجم، شر: محمد بن موسى الدميري، دار غريب، القاهرة، ط2، 2007م.

56. النابغة الذبياني، الديوان، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، مصر، 1985.

57. نزار قبيلات، علي الشروش، الثنائيات دراسات في شعر محمود درويش، العلوم الإنسانية والاجتماعية، المجلّد 38، العدد 3، 2011م.

58. وادي طه، جماليات القصيدة المعاصرة، دار المعارف، القاهرة، ط3، 1994م.

59. ياسين النصير، الاستهلال في البدايات في النص الأدبي، دار الشؤون الثقافية، بغداد، ط1، 1993.

60. يحي بن شرف النووي، رياض الصالحين، دار الغد الجديد، القاهرة، ط1، سنة 2018م.

61. يوسف عليمات، جماليات التحليل الثقافي الشعر الجاهلي نموذجا، المؤسسة العربية للدّراسات والنشر، ط1، الأردن، 2004.

أ- المراجع الإلكترونية:

1. البكاء في معجم المعاني الجامع. المتاح في www.almaany.com.
2. البكاء وعلم النفس، شبكة الأنترنت المتاح في www.ibtessama.com .
3. محمد بن علي بن جميل المطري، سيرة أبي هريرة رضي الله عنه www.alukah.net
4. علي بن أبي طالب، المتاح في www.sudanelite.com
5. إيليا أبو ماضي، المتاح في www.magola.net
6. علي بن أبي طالب، المتاح في tayebshanhoory.3abber.com

فهرس الموضوعات

فهرس الموضوعات

كلمة شكر

إهداء

مقدمة.....أ-ج

الفصل الأول: ظاهرة البكاء: تحديد مفاهيمي

1-مفهوم البكاء في المعاجم (لغويا).....02

2-البكاء في القرآن 12

3-البكاء في الحديث الشريف.....17

4-البكاء عند الصوفية.....22

5-البكاء عند علماء النفس.....25

الفصل الثاني: جماليات البكاء في الشعر العربي

1-البكاء والمقدمة الطللية.....29

2-البكاء وشعر الرثاء.....36

3-البكاء وشعر الغزل.....40

الفصل الثالث: الثنائيات التقابلية

1-الثنائيات الضدية.....48

2-التفاؤل والتشاؤم.....56

3-الحياة والموت.....62

4-الحزن والفـرح.....67

خاتمـة.....71

فهرس الآيات القرآنية.....74

قائمة المصادر والمراجـع.....77

فهرس الموضوعات.....85

الملخص:

حظيت ظاهرة البكاء في الشعر العربي بأفق مهم عند الناس ولاسيما الشعراء، فهو ظاهرة تستحق الدرس والتمحيص والتحليل، وهذا لما زخرت به مدونة الشعر العربي القديم ولما جاءت به قرائح الشعراء حول هذه الظاهرة، فمنهم من رأى فيه ضعف ومنهم من رأى فيه عيب ومنهم من رأى فيه تفريج وراحة للنفس المتعبة.

ولعل هذا ما جعلنا نخلص في الأخير إلى نتائج من بينها الاختلاف في المفهوم، ونجد ذلك في المعاجم، أي أن البكاء يمد ويقصر، وهو الحزن والصوت الذي يصاحبه لدافع ما أو سبب يعتري النفس البشرية.

أما في القرآن، هو آية من آيات الله عز وجل وضعها في النفس الإنسانية.

أما في السنة، فهو يشفع لصاحبه يوم القيامة إذا كان غرضه ومبعثه وصدقه التقرب إلى الله.

وعند الصوفية، هو صلاة الروح والتذلل إلى الله بغية نيل مرتبة رفيعة في الآخرة.

ونجده في علم النفس، نوع من التفريغ والتفريج النفسي الذي يريح الأعصاب ويخفف عن النفس المتعبة، وهو لغة عالمية لا تختلف باختلاف الألسن أو الثقافات أو البيئات.

وتتنوع دلالاته من الخشوع، خوف، طمع، محبة، رجاء، سرور، نفاق،...، والبكاء ينوب عن اللغة في الحالات التي يصعب ترجمتها.

كما أن هناك علاقة بين بكاء الأطلال وبكاء الرثاء وبكاء الغزل من حيث أنها تكشف عن زمانين زمن ولّى وزمن حاضر كل ما فيه يدعو إلى البكاء.